كابيغراس

أحمد دركل

⚖️ حقوق النشر والطباعة

الرواية وما تحتويه من أفكار، شخصيات، وأحداث، هي عمل خيالي، وأي تشابه مع أحداث أو أشخاص حقيقيين هو مصادفة غير مقصودة.

تمت كتابتها بحُب، ونيّة صادقة للوصول إلى القارئ... وليس للربح أو الاستغلال.

الطبعة الأولى – 2025

سوريا – دمشق

المقدمة

كنت أظن أنني أعرفهم جيداً. أمي، أختي، صديقي المقرب، وحتى أنا نفسي... كلهم كانوا بالنسبة إليّ أشخاصاً حقيقيين، لهم وجوه معروفة، وأصوات مألوفة، وقلوب ينبضون بها كما ينبض قلبي.

لكن فجأة، تغير كل شيء.

بدأت أشك فيهم، بدأت أشعر أن شيئاً ما ليس كما كان.

أنهم لم يعودوا هم أنفسهم، بل نسخ مقلدة، شبح من الأشخاص الذين أحببتهم، محاكاة باردة ومريبة، بلا روح ولا قلب حقيقي.

لم يكن الأمر مجرد فكرة غريبة تخطر على بالي، بل كان واقعاً يسيطر على كل لحظة في حياتي. أعيشه، أتنفسه، وأتخبط داخله كمن فقد البوصلة في بحر من الضباب.

كيف يمكن أن تكون والدتي التي كانت تهمس لي كلمات الحنان، مجرد نسخة بلا روح؟ وكيف لصديقي الذي شاركني أفراح الطفولة وأسرار المراهقة أن يصبح غريباً لا أعرفه؟

هذا هو عالم متلازمة كابيغراس.

حالة غريبة ونادرة، تجعل العقل ينقلب على الحقيقة، وتزرع بذور الشك في كل علاقة.

في هذه الرواية، سأحدثكم عن رحلتي في هذا العالم المظلم، عن الصراع الذي خضته بين الحقيقة والخيال، عن الخوف والحنين، وعن البحث المحموم عن ذاتي وسط نسخ مقلدة لا تعرف الرحمة.

في البداية، حاولت أن أتجاهل الأمر.

قلت لنفسي: "مجرد توتر... يمكن أن يكون ضغط الدراسة، أو قلة النوم."

لكن الوجوه بقيت غريبة.

نظرات أمي... لم تكن هي.

كانت تشبهها، نعم. لكنّ شيئًا ما خلف عينيها تغيّر. كأن ملامحها صنعتها يد متقنة، لكنها لم تعرف أين تضع الروح.

ذات صباح، جلست إلى مائدة الفطور، وكانت هي تقف أمامي تعدّ القهوة.

ابتسمت لي، وسألتني: "نمت منيح، حبيبي؟"

نفس الكلمات، نفس النبرة تقريبًا.

لكنّ شيئًا داخلي تراجع، تقلّص، كأنني رأيت غريبًا يرتدي وجهها.

نظرت إلى يدها وهي تمسك الفنجان... كانت هناك ندبة صغيرة على المعصم، أذكرها منذ طفولتي.

"لكن هل يمكن أن تُقلد الندبة أيضًا؟" سألت نفسي.

وهنا بدأ الانفصال.

بدأت أعيش في واقعين:

الأول يقول إن كل شيء بخير، وإنني أتوهم.

والثاني – الأصدق في نظري – كان يصرخ في رأسي:

"هؤلاء ليسوا هم. هناك خطب ما. هناك مؤامرة غريبة تحيط بي."

حاولت الصمت.

كنت أخاف أن أخبر أحدًا، فيظنني مجنونًا.

لكن الصمت كان نارًا تأكلني من الداخل، وكان عليّ أن أتكلم... لكن لمن؟

بدأت أراقب كل من حولي.

أبحث عن أي تفصيل صغير يؤكد شكوكي.

طريقة المشي، الابتسامة، أسلوب الكلام... كنت أجمع أدلة، كما يفعل المحقق، لكن قضيتي لم تكن جريمة قتل، بل جريمة استبدال.

ثم جاء اليوم الذي تغير فيه كل شيء.

"فارس"، صديقي الأقرب، الذي عرف كل أسراري منذ كنا في الصف السابع، جلس أمامي في المقهى المعتاد.

نفس الضحكة، نفس النكت البايخة، نفس القهوة الثقيلة اللي بيحبها... لكن لا.

في نظراته كان هناك فراغ.

نظرت إليه طويلًا، أحاول أن أجد الشخص الذي أعرفه، لكن كل ما رأيته كان تمثيلًا سيئًا لصديقي القديم.

سألني فجأة:

"مالك ساكت؟ شكلك مرهق."

"أنت... أنت متى عملت عملية لأنفك؟"

نظر إليّ بدهشة، ضحك وقال:

"شو؟ أنا ما عملت شي**!**"

لكنني كنت متأكدًا.

أنفه تغيّر.

هل نسيت شكله؟ هل عقلي يخدعني؟ أم أن هذه النسخة الجديدة نُفِّذت بسرعة، ونسيت أن تُطابق التفاصيل الصغيرة؟

نظرت حولي.

هل أحد يلاحظ؟ هل أنا وحدي في هذا الكابوس؟

شعرت أن المقهى يضيق، وجوه الناس تتحول لنسخ مكررة بلا هوية.

نهضت فجأة وقلت له:

"أنت مش فارس."

جمد في مكانه، كأن كلمتي فضحته.

ابتسم، لكنه لم يكن صديقي.

لم يكن أحد.

خرجت إلى الشارع أركض، أشعر أن الأرض تميد تحت قدميّ.

صرت أرتاب بكل شخص حولي.

الكل يراقبني.

الكل يبتسم ابتسامات مزيفة.

الكل... ليسوا كما يبدو عليهم.

في الليل، طرق الباب ثلاث مرات.

كنت جالسًا في الظلام، أحدق في فراغ الغرفة.

همس صوتها خلف الباب:

"جبتلك حليب... مشان ترتاح."

لم أجب.

ثبّت نظري على المقبض، وراقبته وهو يتحرك ببطء.

يدها... أو يد من تشبهها، دخلت أولًا، ثم ظهر نصف وجهها.

"ابتسمت".

لكن لم تكن تلك ابتسامتها.

كانت باردة، محسوبة.

كما لو أن أحدهم رسمها على وجهها بالقوة.

صرخت:

"لا تقتربي!"

سقط الكوب من يدها، وانسكب الحليب...

أبيض على الأرض، كأنه دم صامت.

ركضت إلى النافذة.

لا يمكنني البقاء هنا.

كل من في هذا المنزل لم يعودوا حقيقيين.

قفزت...

لحظة سقوط بطيئة، كأن العالم تجمّد...

وفي لحظة الاصطدام...

صمت....

استيقظت في غرفة بيضاء.

الجدران نظيفة أكثر من اللازم.

الرائحة معقمة، باردة.

أصوات خلف الزجاج... أناس يراقبونني.

أسمعهم يقولون: "الحالة نادرة... يشك أن الجميع تم استبدالهم.

أسمع اسمي يُقال أكثر من مرة، لكن لا أحد منهم يناديني.

كأنني موضوع تجربة، أو ملف في عيادة.

اقترب مني أحدهم.

بذلة بيضاء، نظارات بلا مشاعر.

قال بهدوء:

"أنت تعاني من شيء اسمه متلازمة كابيغراس."

ابتسمت....

لأول مرة منذ شهور... ابتسمت....

وقلت له بصوت هادئ:

"وأنت؟ من أي نسخة أنت؟"

الإهداء

إلى نفسي، أحمد ...

الذي لم يستسلم رغم تعب الدروب،

وواصل البحث في عمق الألم والحقيقة،

واليوم يقف هنا، ككاتب وطالب علم النفس،

يحمل في قلبه قصصًا لم تروى.

وإلى أبي وأمي ...

بدعمكما وثقتكما وحنانكما،

كنتُ أجد قوتي وسط العواصف،

وبفضلكما، صرتُ ما أنا عليه اليوم.

وإلى إخوتي ...

أنتم لستم فقط إخوتي،

بل أركان دعمي، وصوت الأمل في أيامي السوداء،

وقلب العائلة النابض بالحب والقوة.

بوجودكم، تعلمت معنى الثبات،

وبفضلكم، استطعت تجاوز كل العواصف.

أنتم النور الذي يضيء دروبي،

واليد التي تمسك بيدي حين أتعثر.

هذه الرواية لكم، شهادة على وفائكم،

وعلى الحب الذي لا ينكسر مهما مر الزمن.

إلى كلّ من اختار أن يدرس النفس...

لا ليُشخّص الآخرين، بل ليُضيء على ألمه بصوتٍ علميّ لا يخجل.

إلى أولئك الذين يفهمون أنّ وراء كل وهمٍ... حكاية، وأن كل اضطرابٍ نفسيّ هو شكل من أشكال النجاة المتعثرة.

أنتم لا تدرسون عُقدًا، بل تفتحون نوافذ على أرواح البشر.

وإلى طلاب علم النفس السنة الأولى في جامعة دمشق، ...

أولئك الذين يمشون بخطى مترددة في ممرات لم يعتادوها بعد،

لكنهم يحملون في قلوبهم ما يكفي من الشغف ليفهموا، ويحتملوا، ويتغيّروا.

لكم هذه الرواية.

علّها تكون بداية أسئلتكم... لا نهاية أجوبتي.

وإلى فريقي الذي أعتزّ به: فريق نبض الإيجابية

كنتم دومًا أكثر من مجرد مبادرة، كنتم دقات ثابتة وسط اضطراب العالم.

لقد كان شعاركم نورًا في أكثر اللحظات عتمة:

"دع قلبك يَنبض بالإيجابية"

ولأني صدّقت هذا الشعار، استطعت أن أكتب، وأن أستمر، وأن أُكمل هذه الرواية.

لكم هذا العمل... ولكم امتناني.

– أحمد محمود دركل

الفصل الأول: الوجوه التي لا أعرفها

لم أعد متأكدًا من شيء.

أمي... أخي... صديقي المقرّب... حتى نفسي.

كنت أظنّ أنني أعرفهم جيدًا. وجوههم، أصواتهم، ملامحهم التي ألفتها طويلًا، كانت تطمئنني، تهدّئ من روعي، تذكرني أنني أنتمي.

لكن شيئًا ما انكسر فجأة.

بدأت أشكّ. شيئًا فشيئًا، لم أعد أراهم كما كانوا. صاروا أشبه بنُسخ مقلّدة، تقليد بارع لا ينقصه شيء... سوى الروح. لم يعودوا هم، رغم أن ملامحهم لم تتغيّر. نفس الوجوه، نفس الأصوات، لكن شيئًا خفيًا قد غاب.

كنت أقول لنفسي: "مجرد إرهاق... ضغط دراسة... ربما قلة نوم."

لكن الشكّ كان يقظًا، لا ينام.

نظرات أمي كانت مألوفة... ثم أصبحت غريبة. تبتسم كعادتها، لكن عينيها خاليتان من الشعور. كأنّ أحدهم استعان بوجهها وأتقن نسخه، لكنه نسي أن يُحمّله بروحها.

كيف يمكن لكلمات حنونة أن تقال من الأمِ نفسها، من الشفاه نفسها... دون أن تصل إلى القلب؟

كيف لصوتٍ اعتدت أن يطمئنني، أن يصبح الآن مصدر قلق؟

والأغرب؟ سليم... صديقي.

هل كان يشاركني الضحك فعلًا؟ أم كان يراقبني فقط؟

الأسئلة بدأت تتكاثر. لا أطرحها... بل هي من تطرح نفسها، بلا إذن، بلا توقف.

أصبحت أراقب كل من حولي. أفتّش في التفاصيل الصغيرة: كيف يبتسمون، كيف يمشون، كيف ينظرون إليّ.

أصبحت أجمع الأدلة كما يفعل المحققون... رغم أنه لا جريمة هنا — أو هذا ما يُفترض.

ثم جاء اليوم الذي سُلبت فيه آخر ذرة يقين من قلبي.

اليوم الذي نظرتُ فيه في عيني أمي... ولم أرَها.

جلستُ إلى طاولة الإفطار.

رائحة القهوة تتصاعد في الهواء، كما كل صباح...

لكنّ كل شيء كان مختلفًا.

"صباح الخير، حبيبي... نمت منيح؟"

سألتني أمي وهي تبتسم، تحمل فنجانها بنفس الطريقة المعتادة.

نفس النبرة. نفس الابتسامة. نفس الكلمات.

لكن شيئًا ما في داخلي انقبض.

كأنها نسخة مبرمجة تكرر المشهد ذاته كل يوم... دون أدنى إحساس.

تأملت وجهها مطوّلًا، وتوقفت عند شامة صغيرة على خدها الأيسر.

كم مرة رأيتُ تلك الشامة؟ كم مرة مرّت عليّ ولم أنتبه؟

أيمكن أن تكون موجودة دائمًا، أم ظهرت الآن فقط؟

سألت نفسي:

هل يمكن تقليد التفاصيل الصغيرة؟

الشامات... نبرة الصوت... أسلوب الحديث؟

هل يمكن استنساخ الإنسان؟

كنت أحاول أن أقنع نفسي أنني أبالغ. أن كل هذا محض توهّم...

لكن رأسًا آخر في داخلي كان يصرخ:

"انتبه! هناك مؤامرة... شيء ما ليس طبيعيًا."

أصبح الصمت حولي خانقًا.

أخاف أن أتكلم، أن أخبر أحدًا، أن يُقال عني "مجنون".

لكن الأكثر رعبًا؟ أن أكون على حق.

بدأت أبحث في تصرفاتهم عن أي دليل.

في طريقة مشيهم، في ضحكاتهم، حتى في الطريقة التي يُمسكون بها الفنجان.

كنت أراقب صديقي سليم.

نفس قهوته الثقيلة، نفس ضحكته... لكن نظراته؟

كانت فارغة.

لم يكن سليم. أو على الأقل، لم يكن هو كما أعرفه.

حاولت أن أتصرف بطبيعية، لكنّي فشلت.

كنت أبتعد عن الجميع. أختبئ خلف قناع بارد.

أحيانا، كنت أعود إلى غرفتي لأبكي دون أن أعرف السبب.

هل أنا الوحيد الذي يرى ما يحدث؟

هل الوجوه التي حولي حقيقية؟ أم مجرّد أقنعة؟

ليلًا ما، بعد منتصف الليل، سمعت طرقات خفيفة على الباب.

نهضتُ وأنا أرتجف.

لا أحد يظهر في هذا الوقت.

اقتربتُ بخوف. وضعت أذني على الباب.

صوت همس...

"ما عاد فينا نأخر الموضوع... لازم يعرف الحقيقة... أو نبدّل الخطة."

كانت أمي.

عرفتُ صوتها فورًا.

لكنّي لم أفهم: من كانت تخاطب؟

ولماذا بدت كلماتها وكأنها خارج سياق الأمومة؟

ما هي هذه "الخطة"؟ وما الذي يجب أن أعرفه؟

جسدي تجمّد.

قلبي يدقّ بقوة.

تراجعت خطوة للوراء، ساندتُ ظهري على الجدار، وأغمضتُ عينيّ.

في تلك اللحظة، همس صوتٌ داخلي:

"أنت لست مجنونًا... لكنك في خطر."

لم أجرؤ على فتح الباب.

عدتُ إلى سريري كأنني أهرب من سؤالٍ لا يحتمل الإجابة.

وضعت رأسي على الوسادة، لكن النوم هرب.

الأصوات تعيد نفسها في رأسي...

"لازم يعرف الحقيقة... أو نبدّل الخطة".

خطّة؟

هل كنت مجرد جزء من سيناريو؟

هل كل ما عشته كان تمثيلًا؟

ومن هي "نحن" التي كانت أمي تتحدث باسمها؟

في الصباح التالي، تصرّفت كأن شيئًا لم يكن.

دخلت المطبخ... وجدتها هناك، تحرّك الملعقة في كوبها بهدوء.

ابتسمت، وقالت بنبرة لا تشوبها شائبة:

"صباح الخير يا روحي... شكلك تعبان اليوم."

نظرت إليها طويلًا... كأنني أراها للمرة الأولى.

ملامحها مألوفة تمامًا... لكن عيناها؟

كانتا تنظران إليّ، لا من خلالي.

حاولت أن أبحث فيهما عن الأم التي كنت أعرفها،

عن تلك النظرة التي تسبق العناق، التي تشبه الأمان...

لكنّي وجدت شيئًا باردًا.

شيئًا يشبه المراقبة.

جلستُ قبالتها.

شربتُ رشفة من القهوة، ولم أذقها.

كل شيء كان مُغطى بطبقة من الشك.

حتى صوتها، بدا وكأنه محفوظ سلفًا...

كأنها تردد نصًا تعرفه عن ظهر قلب.

"رح تطلع اليوم؟"

"بفكّر روح لعند سليم شوي."

"سلم عليه. صارلي زمان ما شفته."

ارتبكت.

منذ متى تهتم أمي بسليم؟

لم تكن تذكره سابقًا، إلا إن سألتُ أنا عنه.

أما الآن... فهي تذكره قبلي.

أهذا خطأ بسيط؟ أم تفصيل يفضح ما هو أعمق؟

خرجت من المنزل.

كنت أراقب كل وجه أمرّ به في الشارع.

كل شخص بدا كأنّه يُخفي شيئًا.

ابتسامات ثقيلة، عيون خاوية، خطوات محسوبة.

بدأت تراودني أفكار غريبة...

هل أعيش في عالم مزيف؟

هل هناك نسخة مقلّدة من كل شيء... حتى منّي؟

وقفت أمام زجاج أحد المحال...

نظرتُ إلى انعكاسي... ثم همست في داخلي:

"هل أنا أنا؟"

لم أعد متأكدًا.

ربما الأمر بدأ منذ مدة طويلة.

ربما كانت هناك إشارات ولم أكن أراها.

لكن الآن... الآن لم يعد بوسعي تجاهلها.

هناك شيء يتسلل إلى حياتي.

شيء لا أراه، لكنه يغيّر كل شيء ببطء...

ابتداءً من الوجوه التي أعرفها.

أو التي كنتُ أظن أني أعرفها.

الفصل الثاني: تشققات في المرآة

استيقظتُ فجأة، كأن أحدهم أيقظني من حلم لا أتذكره.

رأسي مثقل، وعيناي تحترقان كما لو أني بكيت في نومي.

أخذتُ نفسًا عميقًا، حاولت أن أستعيد نفسي، لكن شيئًا لم يكن في مكانه.

أمسكت هاتفي. لا إشعارات. لا مكالمات.

الساعة تشير إلى الثامنة صباحًا، لكن الضوء في الغرفة باهت كأن الوقت غائم داخليًا.

جلست على طرف السرير، ومددت يدي نحو الستارة...

سحبتها بنصف وعي، فاندفع ضوء خفيف رمادي اللون، لا يُشبه ضوء الصباح الذي أعرفه.

نهضتُ ببطء، واقتربت من المرآة.

نظرتُ إلى وجهي.

كانت الملامح في مكانها.

لكنّ هناك شيئًا ما في عيني...

نظرة شخص لا يعرف من هو، ولا أين يجب أن يكون.

وضعت يدي على خدّي، أحاول أن أستشعر الواقع بجلدي.

لكنني شعرت كأنني ألمس وجه شخص آخر.

رنّ الهاتف فجأة.

اسم سليم ظهر على الشاشة.

لم يتصل منذ يومين، رغم أننا اعتدنا الحديث يوميًا تقريبًا.

"ألو؟"

"إياد؟ شو أخبارك؟"

"تمام... يعني، شوي تعبان."

"حسّيت هيك. مبارح كنت غريب شوي."

"غريب؟"

"إيه، حسيّت إنك عم تحكي... بس عيونك عم تقول شي تاني."

ترددتُ قبل الرد.

"سليم... بتحس إنو الناس عم تتغيّر؟ فجأة؟ بدون سبب؟"

سكت.

"...بتحس إنو في وجوه صارت مو إلها؟ متل... أقنعة؟"

"...إياد، شو صاير معك؟"

صوته بدا حذرًا، مترددًا بين القلق والريبة.

"ما بعرف... بس أمي... ما بعرف إذا هي أمي فعلا ً."

"شو عم تحكي؟"

"حكي غريب، بعرف... بس في نظرات، تصرفات، نبرة صوتها... كلها مو متل ما كانت."

سليم تنفّس ببطء.

"إياد، بتعرف قديش أنا بهتم فيك. بس يمكن لازم تحكي مع حدا. مختص مثلاً."

"مختص؟ يعني عم تقول إني عم بتوهم؟"

"لا، لا! بس... إذا في شي عم يزعجك لهالدرجة، لازم ما تكبتو لحالك."

أغلقت المكالمة بهدوء، دون أن أودّعه.

عدتُ إلى المرآة.

لكن هذه المرة، لم يكن فيها مجرد انعكاس.

كان هناك تشقّق صغير في الزاوية العلوية...

خط دقيق، بالكاد يُرى، لكنّه كان كافيًا ليُرعبني.

اقتربت.

مددت يدي، ولمست الزجاج البارد.

المرآة لم تكن مكسورة البارحة.

أقسم أنني كنت أنظر فيها كثيرًا... ولم يكن هناك أي شق.

همست لنفسي:

"حتى وجهك لم يعد صافيًا يا إياد..."

مرّت ساعات ذلك اليوم ببطء خانق.

بقيت في غرفتي، أراقب التفاصيل التي لم أكن أراها من قبل:

طرَقات أقدام، حركة ستارة، رفرفة الستائر، صوت فتح الماء في المطبخ، وتلك الأغنية القديمة التي كانت أمي تُدندنها في الماضي... لكنها الآن لم تعد تغنيها.

كأنها نسيت.

أو كأنها لا تعرف اللحن أصلًا.

كل شيء يبدو نفسه... لكنه ليس كذلك.

قررت الخروج.

أخبرتها أنني سأذهب لرؤية سليم، فابتسمت وقالت:

"سلملي عليه، وخليك قدّ حالك."

نظرت في عينيها حين قالت الجملة الأخيرة.

كانت جادة جدًا... وكأنها تعني شيئًا آخر.

"خليك قدّ حالك"؟

أهي نصيحة أم تهديد؟

هل أرادت أن تقول لي شيئًا ضمنيًا؟

أومأتُ فقط وخرجت.

الشمس في الخارج كانت باهتة.

لا شيء من ضوء الربيع المعتاد.

هواء خفيف بارد... كأن العالم يتنفس بصعوبة.

مررت بعدة وجوه... بعضها أظنه أعرفه من الحي،

لكنها بدت كلها كأنها خارج المكان.

كأنها تؤدّي دورًا مكتوبًا.

وصلت إلى المقهى حيث اتفقت مع سليم.

كان يجلس على الطاولة المعتادة، يحرّك ملعقته داخل كوب قهوته.

ابتسم حين رآني، لكن ابتسامته كانت مختلفة... مشوبة بالقلق.

"إياد... شكلك مو مرتاح."

"أنا؟ ولا شي... بس ما عم بنام منيح."

جلست، نظرت إليه مطولًا.

هذا سليم... صاحبي من الطفولة.

لكن عيونه... تشبهه ولا تشبهه.

"سليم... بدي أسألك شي."

"قول."

ترددت.

"إذا أنا قلت لك إني حاسس إنو أمي... مو هي. يعني... في شي غريب فيها، شو بتقول؟"

نظر إليّ، لم يضحك، لم يسخر.

وهذا ما زاد رعشتي.

"ما بعرف، إياد... صراحة؟ ما بستغرب."

"شو يعني؟"

"يعني... أنا كمان حاسس إنو في شي عم يتغير."

شهقتُ .

"بأمي؟"

"لا، مش بس هي... العالم كله. في ناس... كأنهم عم يتبدلوا."

صمتنا للحظة.

تابع:

"بس الفرق إنو أنا ما بقول شي. بخبي كل شي جوّا."

نظرت في عينيه، شعرت أنه يقول الحقيقة...

لكن صوته كان مفرغًا من الحياة، كما لو أنه هو نفسه... نُسخة باهتة.

"بتخاف تقول شي؟"

"أحيانًا... بخاف أكون صح.

ارتجفتُ.

هل من الممكن أنني لست وحدي؟

أم أنني ببساطة أخلق عالماً تتماهى فيه أوهامي مع وجوه من أحبهم؟

رنّ الهاتف فجأة.

رقم غريب.

نظرت إلى سليم... همس:

"رد."

أجبت.

"إياد؟"

كان صوت امرأة.

"مين معاي؟"

"أنا... صديقتك من قبل. كنت بتعرفني."

"شو؟"

"بس بدي أقلك... انت مو لحالك."

ثم انقطع الخط.

جلستُ للحظات دون أن أقول شيئًا.

سليم كان ما يزال أمامي، لكنه بدا وكأنه بعيد جدًا...

وجهه ثابت، غير مبالٍ بالمكالمة التي قُطعت فجأة.

"سمعت؟"

"إي؟"

"اللي كلمتني... قالت إني مو لحالي."

"يمكن مقلب تافه، إياد."

"بس عرفت اسمي، وصوتها... ما كان غريب تمامًا."

"بتخاف ما تكون المكالمة خيال؟"

نظرت إليه بحدة.

"سليم، لا تعمل متلي. لا تشك في كل شي."

"أنا ما عم شك... أنا بس عم جرب أفهم شو عم يصير."

أخذت نفسًا عميقًا.

"بس خلص، رايح عالبيت."

"أكيد ما بدك نكمل؟"

"لا... يمكن لازم ارتاح شوي."

خرجت من المقهى، والهواجس تتكاثر في رأسي كحشرات الليل.

ما معنى المكالمة؟ من تكون تلك المرأة؟

ولماذا قالت "كنت بتعرفني"؟ متى؟ وأين؟

في منتصف الطريق، جاءني إشعار برسالة واتساب.

كان الرقم غريبًا، والاسم: "كرم ج."

كرم...؟

زميل في الجامعة، ليس قريبًا، لكنه ليس غريبًا أيضًا.

تحدثنا أكثر من مرة في الكلية، تبادلنا مشاريع، ضحكنا في كافتيريا الهندسة.

الرسالة:

"إياد، كيفك؟ وصلتني أخبار إنو مو تمام... إذا بتحب نحكي، أنا فاضي اليوم."

استغربت من أخبره؟ وكيف عرف أنني "مو تمام"؟

لكن فضولي تغلب على قلقي، فكتبت له:

"أهلين كرم، إيه في كم شغلة عم تخربطلي مخي... وينك هلأ؟

ردّ بسرعة:

"بالجامعة، بمكتبة الهندسة. فيني أستناك؟"

أومأت كأنّه يراني، ثم اتجهت مباشرة إلى هناك.

المكتبة كانت شبه فارغة، والهدوء بارد كقبو إسمنتي.

وجدته في الزاوية الأخيرة، يطالع شيئًا على حاسوبه المحمول.

"إيادا"

"أهلين كرم."

"أقعد، شكلك مشغول بالك... عادي، خدو راحتك."

جلست.

كرم كان كما أتذكره: نظارته الرفيعة، شعره المتعب دائمًا، وطريقته في الكلام الهادئ.

شخص لا يفتعل القرب، لكنه موجود عندما تحتاجه.

"مين قالك عني؟"

"ولا حدا. شفت ستوري سليم، كاتب فيها شي عن (لما صديقك يغرق بصراعاته) وهيك... استنتجت."

نظرتُ إلى الطاولة.

"كرم، ما رح لفّ ودوّر. أنا ما عم بفهم شو عم يصير. أمي مو أمي، سليم بيحكي كلام غريب، وجاني اتصال... بنت بتقول إني مو لحالي."

رفع حاجبيه ببطء.

"شو يعني مو أمي؟ بتقصد تغيّرت؟"

"لا، بقصد... يمكن تكون نسخة منها. مو هي فعلا ً."

"نسخة؟"

همست الكلمة بتردّد.

"من وقت معيّن... كل شي تغيّر. في ملامح بتشبهن، أصوات، حتى الضحكة نفسها... بس جوّاتهم؟ شي ناقص."

"كأنك بتحكي عن نوع من... متلازمة؟"

"شو يعني؟"

"هيك شي قريتو مرة... في ناس بيمرّوا بحالة نفسية اسمها..."

أخرج هاتفه بسرعة، وبدأ يفتّش.

"هاي هي..."

أراني شاشة هاتفه.

كانت هناك عبارة بارزة:

"متلازمة كابيغراس – Capgras Delusion: اضطراب نفسي يجعل المصاب يعتقد أن أحبّاءه قد تم استبدالهم بنُسخ متطابقة الشكل مختلفة الجوهر."

شعرت بجسدي يتجمّد.

"هاي... هاي هي. هاد بالضبط الشعور."

"بس إياد، ما يعني إنك مصاب بهيك شي... يمكن عم تمر بضغط، صدمة، أو شي آخر عم يخليك تشوف الناس بهالطريقة."

"بس أنا ما عم بتخيل! في أشياء ما بتكذب... تصرفاتهم، عيونهم، حتى سكوتهم صاير له نغمة مختلفة."

أغلق كرم الهاتف، وقال بهدوء:

"إياد... بتوثق فيني؟"

"...بظن."

"في أستاذ عندي، بيشتغل بمركز أبحاث نفسية... مو طبيب، بس فاهم بهيك حالات.

إذا بدك، بقدر أطلب موعد، نحكي معو... مو علاج، بس حكي."

فكرت للحظة.

صمتٌ طويل ساد بيننا، قبل أن أقول:

"كرم... بوافق. بس في شي لازم تعرفه قبل هيك..."

في طريق العودة إلى البيت، شعرت أنّ رأسي أثقل من جسدي.

كرم لم يسخر... بالعكس، كان أقرب شخص للتصديق منذ بدأت هذه الدوامة.

لكن حتى مع دعمه، بقيت فكرة "متلازمة كابيغراس" تطنّ في أذني كجرس إنذار لا يتوقف.

هل أعاني فعلًا من اضطراب؟

أم أنني الوحيد الذي يرى ما لا يُقال؟

دخلت المنزل بهدوء.

كانت الساعة تقارب الخامسة عصرًا.

البيت هادئ كعادته مؤخرًا... لكنه ليس الهدوء الذي يشبه الطمأنينة، بل ذلك النوع الذي يسبق العاصفة، أو يخفيها.

خلعت حذائي، ومررت بالممر الطويل المؤدي لغرفتي.

في طريقي، سمعت صوتًا من المطبخ.

"رجعت؟"

كان صوت أحمد.

استدرت فرأيته يقف هناك، يُقلب أوراق كتاب ضخم، ويرتشف قهوته بلا استعجال.

"إي، كنت عند كرم... بتتذكرو؟ زميلي من الكلية."

"أي، اللي كان معك بمشروع السلوك الجمعي؟"

"إيه، هو."

جلس على الطاولة المقابلة، ونظر إليّ نظرة لا أعرف كيف أفسرها.

"إياد... شكلك تعبان."

"كأنكم كلكم صرتو تلاحظو هالشي بنفس الطريقة."

ابتسم.

"مش ملاحظ، بس عم حاول أفهم."

"شو يعني؟"

أغلق الكتاب ببطء، ومرر يده فوق غلافه.

"عم أقرأ عن اضطرابات الإدراك. تغيّر النظرة للأشخاص، الإحساس بأنهم مو نفسهم."

قلبي بدأ يدقّ بقوة.

"ليه عم تقرأ هيك شي؟"

"مادة دراسية، بس... شعرت إنها بتلامس الواقع أكتر من النظريات الباقية."

نظرت إليه.

شقيقي.

شخص عشت معه طفولتي كاملة، تقاتلنا على الريموت، وسهرنا نلعب "فيفا" حتى الصباح.

أحمد الذي كان يسرق شوكولاتتي ويضحك، ثم يقدّم لي نصفها لاحقًا وكأنه يعوّضني.

الآن، يجلس أمامي كطالب علم نفس... ووجهه هادئ جدًا.

هادئ أكثر مما يجب.

"أحمد... إنت بتفكر إني مريض؟"

"شو قصدك؟"

"يعني... شايفني متوهم؟"

سكت قليلًا، ثم قال:

"أنا شايف إنك عم تمر بمرحلة صعبة... وشايف إنو فيك شي مو مفهوم، وهاد الشي بيستحق نبحث فيه."

"بس جاوبني... إنت بتشوف أمي... طبيعية؟"

رفع عينيه نحوي.

"أنا بشوفها متل ما هي من زمان... بس انت، شايفها كيف؟"

"ما بعرف... في شي ناقص... متل إنو تمثّل إنها هي."

أحمد تنهد ببطء.

"طيب... خليني أطرح عليك سؤال."

"قول."

"لو أنا... أخوك، مو أمي، لو أنا ما كنت أنا... بتحس؟"

نظرت إليه، ولم أجب.

"يعني، لو شي فيني تغير فجأة... تحس إني صرت شخص غريب؟"

ابتلعت ريقي.

"يمكن..."

ابتسم، وهزّ رأسه.

"منيح."

"ليش منيح؟"

"لأنك لساتك عم تسأل، مو عم تحكم. ولسا فيك شك، مو يقين مطلق... وهالشي هو اللي ممكن يساعدك تطلع من هالحفرة قبل ما تغرق."

كلماته دخلت إلى رأسي كأنها أشبه بحوار داخلي من نفسي لا منه.

لكن هل هو فعلاً أحمد؟

أم أنه بدأ يستخدم معرفته النفسية ليُقنعني بشيء... أو يُبعدني عن شيء؟

غادرت المطبخ بصمت.

لا أعلم لماذا، لكن الحديث مع أحمد ترك في داخلي أثرًا غريبًا...

مزيج من الراحة والخوف.

كأنّه يعرف أكثر مما يقول.

وكأنه يحاول أن يُبقيني عند الحافة، دون أن يدفعني أو يُنقذني.

عدتُ إلى غرفتي، جلست على الأرض، وأسندت ظهري إلى السرير.

فتحت هاتفي.

لا رسائل جديدة.

تفقدت المكالمة المجهولة. الرقم لا يزال غير محفوظ.

جربت أن أعيد الاتصال...

"هذا الرقم غير مُتاح حاليًا."

شعور بالاختناق بدأ يتمدد داخلي كحبر أسود يسيل تحت جلدي.

نهضتُ واقتربت من المرآة.

ما زال الشق الصغير في الزاوية.

لكنّه بدا أكبر الآن.

هل ينمو؟

أم أنني أنا من يصغُر أمامه؟

وضعت إصبعي عليه، شعرت ببرودة شديدة... كأنها لم تكن من زجاج، بل من شيء آخر... كأنني ألمس هوّة.

فجأة، وصل إشعار.

📩 رسالة بريد إلكتروني، من عنوان غريب:

sender.unknown23@protonmail.com

الموضوع: "هل ما زلت ترى الحقيقة؟"

فتحتها بتردد.

كان فيها جملة واحدة فقط:

"كلما اقتربت من الحقيقة، سيتقن الآخرون الكذب أكثر."

وتحتها، صورة واحدة.

ضغطت عليها...

كانت صورة لوجهي.

نعم، وجهي.

لكن ليس كما أنا الآن.

كان وجهي باهتًا، مُفرغًا من أي تعبير... عيناي كانتا سوداوان بالكامل، كأنهما حفرتان في وجه لا روح فيه.

تجمدت أطرافي.

ارتجفت يداي.

ثم جاء إشعار آخر.

رسالة واتساب من كرم:

"إياد، في شي مهم لازم تشوفو... بس لا تحكي مع حدا، حتى أخوك."

نظرت إلى المرآة مرة أخيرة...

الشق فيها لم يكن مجرد صدع في الزجاج.

كان... تشققًا في الواقع.

الفصل الثالث: من خلف الزجاج

الجزء الأول: انعكاسات

لم أنم.

قضيت الليل جالسًا في الزاوية، ظهري إلى الجدار، عيناي نصف مفتوحتين، تحدّقان في اللاشيء.

كلما أغمضت عينيّ، عادت إليّ الصورة...

وجهي في تلك الصورة السوداء، بلا روح، بعينين سوداويّتين كفراغ لا قرار له.

أعدتُ فتح البريد.

نفس الرسالة.

نفس الجملة المعلقة في حلقي:

"كلما اقتربت من الحقيقة، سيتقن الآخرون الكذب أكثر."

لم أستطع أن أقاوم النظر إلى المرآة.

لم يكن فيها صدع بعد.

لكنني رأيت نفسي... يحدّق فيّ.

هناك شيء في عينيّ يشبهني... لكنه لا يشعر بي.

وكأنني أرى شخصًا يعرفني جيدًا، لكنه ليس أنا.

رنّ الهاتف.

كان "كرم".

ترددت قبل الرد.

"ألو؟"

"صباح الخير إياد... كيفك؟"

"كيف بدي كون؟ بعد كل شي..."

سكت لحظة.

"بتقصد الرسالة؟"

توقفت، ثم قلت: "لحظة... كيف عرفت؟"

تنفّس ببطء، قال بصوت منخفض:

"بصراحة... توقعتها. كنت متأكد إنو حدا رح يتواصل معك من الماضي."

"مين؟"

"بنت... ما كنت مفكر إنها لسه موجودة."

"إياد، هاد الشي مو صدفة. في ناس بدها تشتتك، تخليك تشك بحالك أكتر. بس لازم تكون أقوى."

"...ليش ما قلتلي من قبل؟"

"كنت ناطر تشوف بعينك. أحيانًا ما فينا نخلص حدا من غرق، لازم هو يقرر يسبح."

لم أرتح لكلامه.

كان صوته ناعمًا جدًا، كأنّه يتحكّم بوتيرة تنفسي.

"كرم... مين هاي البنت؟"

"مو وقتها هلأ... بس أوعدك، رح تعرف كل شي بس نلتقي. اليوم العصر، مكتبة الأدب القديم. فاضية، وهادية."

أغلق الخط.

نظرت إلى اسمه على الشاشة.

"كرم ج."

بسيط، مباشر، مألوف...

لكنّه لم يعد يبدو لي كذلك.

وكنت لا أريد الذهاب لرؤيته لأنني لست مرتاحًا كفاية .

عدت إلى المرآة.

تقدّمت منها ببطء، وأدرت وجهي نحو الزاوية اليمنى، حيث كان الشرخ.

ما زال هناك.

دقيق... لكنه واضح. كخط شعريّ في زجاج الذاكرة.

اقتربت أكثر.

وفي اللحظة التي كدت ألمسه، شعرت بأن أحدهم خلفي.

استدرت بسرعة.

لا أحد.

لكن الشعور... لم يكن وهمًا.

في هذا البيت، لم أعد وحدي أبدًا.

الجزء الثاني: زمن

قررت أن أخرج من البيت.

لا هربًا، بل لأتنفّس.

الحيطان بدأت تضيق. المرآة بدأت تهمس.

والصوت الداخلي... لم يعد وحدي من يسمعه.

أخذت معطفي، هاتفي، وخرجت دون أن أخبر أحدًا.

اتجهت إلى بيت أختي مي.

أحتاجها... أو ربما أحتاج زمن، طفلتها الصغيرة.

كانت الساعة تقترب من العاشرة صباحًا حين وصلت.

الجو رماديّ، والشارع هادئ، والبرد لطيف، فيه شيء يُشبه الذكريات.

طرقت الباب.

فتحت مي بعد لحظات.

ترتدي بيجاما رمادية، شعرها مرفوع، وجهها خالٍ من أي زينة.

"إياد؟ شو جابك بهالوقت؟"

"مشتاق... ومشتاق لزمن كمان."

رفعت حاجبًا، نظرت إليّ قليلا ً، ثم ابتسمت.

"تفضل... بس حظك حلو، زمونة لسه ما نامت."

دخلت.

البيت صغير، أنيق، مرتب بدقة تدلّ على محامية تعيش هنا.

كتب مبعثرة على الطاولة، أوراق قانونية، كوب قهوة نصفه ممتلئ...

وأصوات رسوم متحركة خفيفة تأتي من غرفة الطفلة.

"زمن!" نادت مي.

فركت الطفلة عينيها، خرجت من الغرفة بخطى متقطعة، تمشي بثقة زائدة على عمرها.

"إيادا!" صاحت بابتسامة واسعة وهي تجري إليّ.

ركضتُ بدوري، جلست على الأرض وفتحت ذراعيّ.

قذفت نفسها نحوي واحتضنتني، وراسيها الصغير على صدري.

"كنت بعرفك رح تجي اليوم!" قالتها ببراءة، ونظرت في عيني مباشرة.

"كيف عرفتي؟"

"حسّيت."

ضحكتُ، ثم بكيتُ... دون أن تنتبه.

مي حضرت قهوة، وجلست قربي.

"شكلك مرهق."

"نوعًا ما."

"صرلك شي أسبوع ما سألت عنّا... وحتى أحمد قال إنك منزوي."

"ما حدا فهمني، مي."

"جربني."

ترددت، ثم قلت:

"بتحسي أحيانًا إنو الناس حواليك... صاروا يشبهوا ناس بتحبيهم، بس مو هني فعلًا؟"

نظرت إليّ .

عيناها تغيّرتا قليلا ً، كأنها بدأت تستشعر ثقل ما أقول.

"يعني متل شو؟"

"يعني... أمي، سليم، حتى أحمد أوقات... بتحسي إنو عم يمثلوا، عم ينسخوا حالهم بس بدون روح."

وضعت فنجانها ببطء، ثم قالت:

"إياد... أنت مو بخير، وأنا معك. بس بترجاك... لا تغرق أكتر. خليك قريب مني."

قبل أن أرد، رنّ هاتفها الموضوع على الطاولة.

نظرتُ إلى الشاشة.

رقم مجهول.

نفس النمط.

نفس بداية الرقم الذي وصلتني منه الرسائل.

"ردّي!" قلت فجأة.

"ليش؟"

"لأني شفته قبل هيك."

تردّدت، ثم رفعت الهاتف... لكنها لم تجب.

تركته يرن حتى انقطع.

نظرت إليّ بقلق.

"إياد... في شي عم يصير معك؟"

أومأت برأسي، دون أن أقول شيئًا.

بعد قليل، كانت زمن جالسة على الأرض، ترسم بعشوائية.

اقتربتُ منها، جلست قربها.

"شو عم ترسمي؟"

رفعت الورقة بابتسامة.

كانت الصورة بسيطة: بيت، شباك، وولد صغير... لكن خلفه، على الجدار، ظلّ طويل لوجه مبتسم.

"مين هاد؟" سألتها.

أجابت ببراءة:

"هاد أنت... بس مش هلق، بعد شوي."

نظرت إلى مي.

مي لم تكن قد سمعت.

زمن أعادت الرسم... وعادت ترسم نفس الظل.

في تلك اللحظة، شعرت أن الطفلة... تعرف.

ربما هي الوحيدة التي ترى الأشياء كما هي.

أو ربما، أنا الذي بدأت أرى... كما ترى طفلة عمرها ثلاثة سنوات.

الجزء الثالث: ظلّ على الجدار

عدتُ إلى البيت عند الظهر.

السماء ما زالت رمادية، لكنّ الضوء بدأ يُبدي شيئًا من القسوة.

أشعر أني محاصر... بين الهدوء المصطنع في الخارج، والضجيج المخبّأ في داخلي.

دخلت غرفتي، وأغلقت الباب.

جلستُ على الطاولة الخشبية القديمة، أخرجت دفترًا صغيرًا كنت أستخدمه أيام الجامعة، وكتبت في الصفحة الأولى:

"دفتر الوجوه."

تحتها مباشرة كتبت:

"كل ما لا أفهمه... سأسجله. كل ما يثير الشك، سأرصده. وحتى أنا... إذا تغيّرت، سأكتب عني."

ثم بدأت أدوّن.

أمي: نفس الابتسامة، لكن عينان بدون حرارة.

سليم: محايد زيادة عن اللزوم.

أحمد: يعرف أكثر مما يقول.

مي: مترددة… وصوتها تغير لحظة مكالمة الرقم المجهول.

زمن: الوحيدة التي ما زالت حقيقية.

كرم…

توقفت عند اسمه.

كرم.

كان يعطيني إحساسًا غريبًا… بين الطمأنينة والاختراق.

كأنّه يعلم تمامًا ما أحتاج أن أسمعه… فيقوله.

لكن لم أكن أرى منه أي اندهاش. لا قلق حقيقي… لا توتر.

فتحت حاسوبي المحمول، وبدأت أفتّش في البريد.

بحثت عن العنوان المشفّر الذي أرسل لي الرسالة:

sender.unknown23@protonmail.com

وجدت أن الحساب حديث الإنشاء.

لكن كان هناك إشارة لعنوان IP من منطقة قريبة... جامعة.

جامعة؟

تحديدًا: شبكة الأدب والفنون – المبنى الشرقي.

عدت بذاكرتي إلى مكالمة كرم... قال لي أن نلتقي في مكتبة الأدب القديم.

نفس المبنى.

هل هو صدفة؟ أم مصيدة؟

قررت الذهاب مبكرًا، دون أن أخبره.

دخلت الحرم الجامعي بهدوء. الطلاب منتشرون، الضجيج المعتاد، الوجوه المتعبة، الشباب يضحكون على مدرج الدرجات.

لكن من بينهم... رأيتها.

كانت واقفة عند زاوية المبنى.

شعر أسود مربوط، حذاء أسود، وحقيبة صغيرة على الكتف.

وجهها مألوف.

لم تكن تنظر مباشرة إليّ... بل كأنّها تعرف أنني سأراها.

حاولت أن أقترب، لكن في اللحظة التي خطوت فيها، التفتت واختفت في الزحام.

ركضت. قلبت الوجوه. دُرت حول المبنى.

لا أثر.

اختفت كما ظهرت.

عدت إلى المكتب الداخلي للمكتبة، انتظرت كرم.

دخل بعد ربع ساعة.

"أجيت بكير؟"

"أجيت... بس في شي لازم تفهمه. في حدا كان عم يراقبني هون."

"مين؟"

"بنت. شفتها، بس ما لحقت... متأكد إنها اللي بعتتلي الرسالة."

كرم جلس، أنزل حقيبته، وفتح جهازه المحمول.

"بشوف إذا في شي تسجّل عالكاميرات الخارجية... معي صلاحية وصول بسيطة من وقت بحث تخرجي."

فتح ملفاته... لكن لم أركز في الشاشة.

نظرت إليه.

كان يكتب بسرعة، يتنقل بين النوافذ.

ثم، في غفلة منه... رأيت اسمي.

في مجلد بعنوان: **"EY23_التحليل السلوكي"**

عيناي اتسعتا.

"كرم... شو هو هاد الملف؟"

أغلق الشاشة بسرعة.

"مافي شي... مجرد مسودة لبحث..."

لكن نبرة صوته تلك اللحظة؟

لم تكن لكرم الذي أعرفه.

في طريق عودتي إلى البيت، لم أكن أمشي على الأرض.

كنت أسير داخل رأسي.

كرم ليس كما يبدو.

ربما لم يكن كذلك أبدًا.

في تلك اللحظة، وصلني إشعار من رقم مجهول:

"كرم... جزء من الخطة. بس مو الكل."

الجزء الرابع: وجوه تتكلم

قضيت المساء أحاول ألا أفكّر.

فتحت التلفاز، أعددت شايًا بالنعناع، قرأت صفحتين من رواية قديمة... ثم أعدتهما دون أن أفهم كلمة.

الواقع لم يعد مقنعًا.

كل شيء بدأ يشبه مسرحية... بإضاءة ناقصة ووجوه تحفظ دورها بإتقان.

رنّ هاتفي.

كرم.

تردّدت، ثم أجبت.

"إياد، في شي لازم أحكيه، ضروري."

"...أنت قلتلي مكتبة الأدب، ولقيت آثار الرسائل جاي منها، وشفتك فاتح ملف باسمي!"

"بعرف... ويمكن صار وقت تعرف كل شي."

"أنت متورّط؟"

"مو بهالطريقة. أنا كنت بس ناقل معلومة... كنت بس أراقب، بس... حسّيت شي فيك ما لازم أنسخه لتقرير!"

"تقرير؟!"

"إياد، أنا مو ضدك، بس تعال نلتقي ونحكي وجهاً لوجه."

"وين؟"

"موقف المهجورة جنب القصر القديم... اللي كنا نتصور فيه مشروع المسرح قبل سنتين."

"هلأ؟"

"هلأ."

في الطريق، كانت الريح تعصف بأوراق الأشجار.

سماء المدينة داكنة رغم إن الوقت ما زال مساءً.

وصلت.

كرم كان هناك، واقفًا وحده، تحت ضوء مصباح أصفر مهتزّ.

اقتربتُ.

"احكي."

"رح قلك كل شي بس بالهدوء..."

تنفستُ ببطء. قال:

"من فترة، في حدا من الجامعة القديمة تواصل معي... قال في حالة نفسية نادرة، حابين يدرسوها. ما أعطوني اسم، بس لما ظهرت عندي إشارات منك، صار الموضوع واضح."

"يعني... عم تراقبني؟"

"كان في شروط، بس أنا... حسّيت إنو غلط. خصوصي بعد أول رسالة وصلك."

"من مين كانت؟"

"ما بعرف الاسم... بس هي مو وحدة عادية. بتعرف كيف تخترق، كيف تضرب عقل الشخص من جواته. بتحلل، وبتسجّل ردات فعلك."

"وشو كان دورك؟"

"إني أكون وسيط. أوصل أسئلة، راقب ردود، بس... وقفت. بطّلت راضي."

نظرت إليه.

"وهدول الناس... شو بدهم مني؟"

"أنت حالة. فريدة. وهنّي... عم يشوفوك كمساحة تجريب."

سكتُ.

كان صوته صادقًا... أو يعرف تمامًا كيف يبدو صادقًا.

"ليش عم تحكيلي هاد هلأ؟"

قال بهدوء:

"لأنك صرت قريب من مرحلة... ما عاد فيها رجعة. وأنا مو قادر أظلّ متفرّج."

عدت إلى المنزل مرهقًا.

جسدي يرتجف... من البرد أو من الخيانة، لا أعرف.

دخلت غرفتي.

وجدت على سريري ورقة مطويّة بدقة.

فتحتها ببطء.

خطّ اليد ليس غريبًا... لكن لا يمكنني تحديد لمن هو.

كُتب فيها:

"اللي حواليك مو كلهم ناس... بعضهم ملاحظينك، وبعضهم ناطرين تغرق."

جفّ حلقي.

تراجعتُ خطوة.

نظرت إلى الباب... كان مغلقًا.

والنافذة كذلك.

من دخل غرفتي؟

ومن يعرف كيف أكتب... وكيف أخاف؟

عدت إلى "دفتر الوجوه".

كتبت بخط كبير:

"كرم – لم يكن صديقًا. لكنه لم يكن عدوًا أيضًا. كان... بابًا مفتوحًا."

ثم نظرت إلى صورتي في المرآة.

وسألت نفسي:

"هل أنا... جزء من الخطة؟ أم هدفها؟"

الجزء الخامس: من خلف الزجاج

في الليلة نفسها، لم أستطع الجلوس.

ولا النوم.

ولا حتى التفكير.

كنت أتحرك في الغرفة كأنني عالق في قفص، لكن القضبان مصنوعة من الشك.

الورقة التي وُضعت على سريري لم تكن مجرّد تحذير...

كانت اعترافًا.

هناك من يدخل غرفتي.

هناك من يعرفني.

هناك من يتعمد تغذية هذا الجنون الذي صار يزهر في رأسي.

وقفت أمام المرآة.

أريد أن أكسرها... أن أمحو وجهي منها، أن أختفي من نظري.

لكنني تردّدت.

نظرتُ أكثر... وبعمق.

وجه متعب.

عينان لا تثقان بأحد.

شفاه جافة من كثرة الصمت.

وفي لحظة، رأيت حركة...

خفيفة... لا تكاد تُرى.

انعكاسي تحرّك قبلي بنصف ثانية.

تجمدت.

تراجع قلبي للخلف.

لم أستطع أن أصرخ... لم أجرؤ.

ثم فجأة، كانت ابتسامة.

ابتسامة واسعة... ليست لي.

ارتعشت.

رفعت يدي فجأة... وضربت الزجاج بكل قوتي.

تهشّمت المرآة.

الزجاج تفتت على الأرض، لكنّ عيوني ظلت تحدّق في مكان الانعكاس...

ولم تختفِ.

الانعكاس بقي هناك.

كأن المرآة ما زالت تعكس... رغم أنها انكسرت.

اندفع الباب.

دخل أحمد، ركض إليّ، أمسك بكتفي.

"إياد!! شو صار؟! ليش هيك؟!"

لم أجب.

كنت أحدق في القطع الصغيرة على الأرض، كل واحدة تعكس جزءًا من وجهي...

لكن لا واحدة منهم بدت وكأنها أنا.

"ردّ عليّ!"

"أنا... ما عم بعرف مين أنا."

"إياد... إنت صرت قريب من الحقيقة. بس الحقيقة... مو دايمًا شفاء."

"شو قصدك؟"

"كل شي رح توصله، بس بتمنّى لما توصل... تكون لسا فيك ترجع."

في الليل، جلست على سريري.

أغلقت عيني، وتنفست ببطء.

ثم فتحت "دفتر الوجوه"، وكتبت:

"ما عدت أعرف مين عم يراقب مين... أنا، ولا العالم."

وفي اللحظة الأخيرة قبل أن أغفو، سمعت حركة خفيفة عند الباب.

لم أرفع رأسي.

ثم فتحت عينيّ... ببطء.

ورأيتها.

زمن.

الطفلة الصغيرة تقف عند الباب، نصفه مفتوح.

تنظر إليّ بعينيها الواسعتين.

ثم... بهدوء، أغلقته.

ليس بعنف. ليس بخوف.

بل كأنها تعرف...

أن ما خلف الباب، ليس كما كان.

الفصل الرابع: عين في العتمة

الجزء الأول: التنافر

أتى الصباح ولم يخرج النعاس من جسدي.

استيقظتُ على صوت خافت من الخارج، ربما صوت أحمد وهو يُحضّر قهوته كعادته. لكن شيئًا في خطواته لم يكن معتادًا... كانت موزونة أكثر من اللازم، كأنها مدروسة.

جلستُ على السرير، نظرت إلى المرآة المهشّمة.

ما زالت شظايا الزجاج تملأ الزاوية، وبعضها انعكس عليه ضوء الصباح، فبدا وكأنه يلمع بتهديد.

لم أعد أجرؤ على النظر مباشرة... ليس خوفًا من شكلي، بل مما قد يظهر خلفي.

خرجت إلى الممر، تحسّست الجدار بيدي.

رائحة القهوة كانت مُنتشرة في الجو، لكن لم تبعث فيّ أي دفء.

دخلت المطبخ.

أحمد كان واقفًا عند النافذة، يمسك كوبه بيده اليمنى، وينظر إلى الخارج.

"صباح الخير."

استدار نحوي ببطء، ثم قال بابتسامة هادئة: "صباح النور، نمت شي؟"

"ما كتير..."

"ما بيلومك. شكلك تعبان."

جلست على الكرسي.

"أحمد... إيمتى آخر مرة حسّيت إنك إنت؟"

نظر إليّ لحظة، ثم قال: "كل يوم. بس مو دايمًا بصدق حالي."

أومأت برأسي.

"أنا... عم شوف شغلات ما عم أفهمها، وأحيانًا بحس إنو عم شوف شي تاني كمان."

أحمد اقترب، جلس على الكرسي المقابل، قال بهدوء:

"في دكتور بالجامعة، بيشتغل مع ناس عالأبحاث النفسية... حابب يشوفك. مو علاج، بس جلسة حكي. شو رأيك؟"

"مين اللي قرر هالشي؟"

"أنا... ومي كمان."

"وإذا قلت لا؟"

"بنقعد نحكي أكتر، ومنقرّر سوا. بس صدقني، يمكن ترتاح لو حكيت لحدا تاني."

تنفست بعمق.

"طيب... بس إذا ما ارتحت، بترك الجلسة فورًا."

هزّ رأسه موافقًا.

في تمام الواحدة، وصلنا إلى المبنى القديم التابع لكلية الطب.

غرفة صغيرة، فيها طاولة مستديرة، كرسيان، وزجاج فاصل يعكس الضوء... أشبه بالتحقيقات.

دخلت وحدي.

الرجل الذي جلس أمامي لم يقدّم نفسه، ولم يبتسم.

قال:

"أنا بس بدي اسمعك... مو أكتر."

أومأت.

بدأت أتكلم... قليلا ً، ثم كثيرًا، ثم توقفت.

وجهه لم يتغيّر، لم يُظهر دهشة، لم يُقاطعني.

كل ما قاله في النهاية:

"بتعرف شو الغريب؟ إنك عم توصف الشي بشكل دقيق لدرجة توحي إنك شايفه فعلاً."

قلت: "لأني شايفه."

قال: "بس أحيانًا... العقل بيخلق وضوح كاذب، ليخبي الفوضى الحقيقية."

لم أفهم تمامًا، لكنّي شعرت بأنه لا يُكلمني فقط، بل يُقيّمني.

خرجت من الغرفة دون أن أودّعه.

وعندما عدت للبيت، كانت مي تنتظرني في الصالة.

قالت:

"شو رأيك فيه؟"

قلت:

"ما بعرف... حسيته عم يحاول يفهمني متل ما بفهم مجرّب جديد، مو إنسان."

أومأت وقالت:

"أهم شي إنك عم تحاول، إياد. مو ضروري نصدّق الكل، بس لازم نحكي."

كنت أريد أن أقول لها عن المرآة... عن الورقة على سريري... عن زمن.

لكنّي لم أفعل.

ليس بعد.

الجزء الثاني: الغرفة البيضاء

في اليوم التالي، استيقظتُ على شعور داخلي لم أفهمه... كأن شيئًا يُحاصرني من الداخل.

قررت أن أخرج.

ذهبت إلى الجامعة، تحديدًا إلى مبنى الأدب والفنون. لا أعلم لماذا، لكنني شعرت أن الإجابات هناك.

صعدت إلى الطابق الثالث. الممر شبه خالٍ.

في نهايته، كانت هناك غرفة ذات باب رمادي، وعليها لافتة مكتوب عليها: "وحدة الأبحاث النفسية – تجريب سلوكي".

طرقت الباب.

فتح رجل في منتصف الثلاثينات، بوجه حيادي ونظرات حذرة.

"إياد؟ تفضل. كنا بانتظارك."

لم أسأل من هو. دخلت.

الغرفة كانت بيضاء بالكامل. الجدران، الأرضية، السقف.

في المنتصف، كرسي خشبي. وعلى الجدار، مرآة ذات اتجاه واحد.

"اجلس هون، خمس دقايق وبنبلش." قالها الرجل وأغلق الباب خلفه.

جلست.

لم يكن هناك شيء واضح لأفعله... سوى الانتظار.

بدأت أشعر بأن الهواء أثقل من العادة.

ثم فجأة... انفتح باب جانبي، ودخل شخص لا تظهر ملامحه جيدًا بسبب الإضاءة العكسية.

جلس أمامي بصمت.

ثم قال:

"إياد... بتعرف ليش أنت هون؟"

هززت رأسي.

قال:

"أحيانًا، منمرّ بلحظات منعرف فيها إنو كل شي حوالينا مو حقيقي. بس السؤال مو إذا هو حقيقي... السؤال إذا نحنا مستعدين نعيش بهالوهم ولا نكسرو."

لم أجب.

تابع:

"إذا قلتلك إنو في ناس عم يراقبوك، مو كرمال يئذوك... بس ليشوفوا كيف عقلك بيحاول يهرب؟ بتصدق؟"

نظرت إليه، أردت أن أقول شيئًا، لكن صوتي خذلني.

ثم همس:

"بتعرف شو الغريب؟ إنك ما عدت تسأل إذا هني صح... صرت تسأل إذا أنت الغلط."

نهض فجأة... وخرج.

تركني وحدي.

أصبحت أشعر أن كل شيء أبيض حولي... باستثناء رأسي.

كان ممتلئًا بالعتمة.

الجزء الثالث: صوت من الداخل

منذ تلك الجلسة… أصبح الصمت مختلفًا.

لم يعد يعني غياب الصوت… بل امتلاء الرأس بأصوات أخرى، تشبهني، لكن لا تنتمي إليّ.

في البداية، ظننت أنني أتحدث مع نفسي بصوت داخلي. لكن مع الوقت، بدأت ألاحظ الفرق…

كان الصوت يتكلم قبل أن أفكر. كان يهمس لي بأني أعرف… رغم أنني أقسم أنني أجهل كل شيء.

جلست في غرفتي، أغلقت الضوء، فتحت دفتر الوجوه، وكتبت:

"إذا كنت أنا أسمعني… فمن فينا يتكلم؟"

أعدت قراءة الجملة مرارًا.

ثم سمعت إشعارًا.

رسالة جديدة... من نفس البريد المشفّر.

لكن هذه المرة... كانت مرفقة بمقطع صوتي.

فتحت التسجيل.

صوت فتاة. نبرة هادئة... كأنها تعرفني:

"بتتذكر أول مرة قلتلي فيها إنو العالم مو متل ما بيبين؟ كنت عم تضحك... بس عيونك كانت عم تبكي."

سكتت لحظة، ثم تابعت:

"هلأ... بلّش وقت الجد، إياد. خلّي عينك مفتوحة. مو كل شي حوالينا ناس."

انتهى التسجيل.

صوتها ليس غريبًا... لكني لا أستطيع تذكّره.

كتبت في الدفتر:

"إذا كانت هي من الماضي... فليش المستقبل عم يرتجف؟"

ثم أغلقت كل شيء.

وأصبحت أسمع صوتها... حتى دون تسجيل.

الجزء الرابع: وجه غير مكتمل

استيقظتُ متأخرًا على غير العادة.

أحمد لم يكن في البيت. ترك ورقة صغيرة على الطاولة:

"راجعت المكتبة، برجع بعد العصر."

جلست على الأريكة، أغلقت عينيّ، لكن قلبي ظل مفتوحًا على كل الاحتمالات.

فتحت هاتفي.

تصفحّت حسابي على أحد تطبيقات التواصل.

تجمّدت.

هناك صورة منشورة من حساب غريب... صورتي.

أنا، أقف أمام باب غرفتي، لكن في الصورة، وجهي غير واضح. مشوّه، وكأن الظل يغطي نصفه.

وتحت الصورة، تعليق:

"ليس من تظن... بل من نسيت."

ضغطت على الحساب.

الاسم: mirrornotme@

لا يوجد سوى منشور واحد... هو.

ضغطت على خيار المراسلة. أردت أن أكتب شيئًا... أي شيء.

لكن قبل أن أبدأ، اختفى الحساب.

وكأنه لم يكن.

قفزت من مكاني.

فتحت اللابتوب. دخلت إلى سجلّ البريد، حاولت تتبّع عنوان الرسائل.

مجدّدًا... المصدر يتغيّر.

لكن كل الإشارات تعود إلى نفس النقطة: شبكة الجامعة.

مبنى الأدب.

نفس المبنى... نفس الرسائل... نفس الظلّ الذي يطاردني.

كتبت في دفتر الوجوه:

"الوجوه لم تعد تقنعني... حتى وجهي نفسه بدأ يشكّ في انتمائه."

مسحت وجهي بيدي.

ثم، بينما كنت أتحرّك في الغرفة، لاحظت شيئًا على طرف الطاولة.

صورة مطبوعة.

لم أضعها أنا. لا أذكرها.

كانت قديمة، بالأبيض والأسود.

شخصان. أحدهما طفل صغير يشبهني. والآخر... فتاة تحمل وجهًا مألوفًا، لكن غير مكتمل.

مُجزأ، كأنّ الورقة ذابت عند الزاوية.

قلبت الصورة... لا شيء مكتوب.

لكن داخلي... أصبح ممتلئًا بصدى وجهها.

وجه يشبه الذاكرة... لكنّه لا يسكنها.

الجزء الخامس: التسجيل

عندما حلّ المساء، أصبح كل شيء صامتًا أكثر من اللازم.

البيت فارغ. لا صوت خطوات، لا قهوة على النار، لا حديث جانبي بين أحمد ومي.

خرجت من غرفتي، متجهًا إلى غرفة والدتي القديمة.

لم أكن أدخلها منذ زمن، لكنها كانت هناك... مثل صدفة مغلقة لا أحد يجرؤ على فتحها.

دفعت الباب ببطء.

كل شيء كما هو.

الستائر، الطاولة، الكرسي الخشبي، وصندوق خشبي صغير في الزاوية.

جلست أمامه.

فتحته.

ملفات قديمة، ألبومات صور، أوراق مطوية... وهاتف.

هاتف صغير، من الطراز القديم.

ضغطت على زر التشغيل... اشتغل.

شاشة صغيرة، رمز مرور.

جربت تاريخ ميلادي... لم ينجح.

جربت تاريخ ميلاد مي... لم ينجح.

ثم أدخلت تاريخ ميلاد زمن.

فتح.

تصفّحت المجلدات.

في قسم التسجيلات، كان هناك ملف واحد.

فتحت التسجيل.

صوت أمي.

هادئ، لكن متوتر:

"ما عاد فينا نأخر الموضوع... لازم يعرف الحقيقة، أو نبدّل الخطة."

ثم صمت.

ثم صوت آخر... أحمد.

"بس إذا عرف، كل شي رح ينهار."

انتهى التسجيل.

شعرت بأن جسدي يتجمّد.

منذ متى يعرف أحمد؟ منذ متى يُخطّطان خلفي؟

في تلك اللحظة، انفتح باب الغرفة.

دخل أحمد.

نظر إليّ... لم يتفاجأ.

قلت: "شو يعني؟ شو الحقيقة؟"

اقترب بهدوء.

قال:

"ما في عنا وقت... الخطة بلّشت."

وانتهى كل شيء عند تلك الجملة.

البيت لم يعد بيتًا.

الوجوه لم تعد وجوهًا.

والمرآة... لم تعد تنكسر، بل أصبحت تُحدّق بي أنا.

الفصل الخامس: نقطة الإنقلاب

الجزء الأول: انعكاس من الماضي

في صباح خافت الضوء، استيقظت وأنا أشعر بأن الهواء أثقل من المعتاد، وكأن الغرفة تُخفي شيئًا جديدًا بين جدرانها.

نهضت ببطء، اتجهت نحو الطاولة، حيث تركت هاتفي الليلة الماضية.

إشعار واحد.

رسالة صوتية... من رقم بلا اسم، بلا صورة، بلا عنوان.

فتحت التسجيل.

صوت فتاة.

لكن ليس أي صوت.

كان الصوت يشبه ليان.

نفس النبرة الهادئة، نفس الامتداد في النطق، نفس المسافة بين الألم والحنان.

قالت:

"بتتذكّر كيف كنت تحكيلي إنو العالم لازم نخلقه نحنا، مو نستناه؟ كنت تضحك وقتها... بس أنا كنت شايفتك عم تهرب من شي جواتك."

صمتت.

ثم تابعت:

"صار لازم ترجع، إياد. مش ترجعلي... ترجع لحالك. لأنو الوقت عم يسرقك، ووجّك ما عاد متل قبل."

أغلقت الهاتف.

لم أعد أعرف... هل هذه ليان؟ أم أحد يتقمّص صوتها؟

هل قلبي يشتاقها؟ أم أن عقلي يخونني؟

جلست على طرف السرير، وأغمضت عينيّ.

صور قديمة بدأت تتسرّب إلى ذاكرتي...

ليان تضحك وهي تدفعُ الماء نحوي في يوم شتوي. ليان تبكي بصمت، ويدي على كتفها. ليان تكتب اسمي بخط كبير على ورقة محاضرة.

ثم... صورة متقطعة.

شارع ليلي، ضوء سيارة، صوت فرامل...

ثم لا شيء.

فتحت عيني.

الساعة تجاوزت العاشرة.

لكن الزمن... بدا متوقفًا داخلي.

نهضتُ، وفتحت دفتر الوجوه.

كتبت بخط مرتجف:

> "إذا كان الصوت هو ليان... فكيف تنبض الذاكرة بعدما انكسرت؟"

أعدت قراءة الجملة، ثم طويت الدفتر.

لأول مرة، خفت من ذكرياتي.

لأنها لم تعد فقط تؤلمني... بل بدأت تبدو أكثر واقعية من الواقع نفسه.

الجزء الثاني: ملاحظات متناثرة

بعد الظهر، وبينما كنت أبحث عن كتاب في الخزانة القديمة، سقط شيء صغير من بين الصفحات.

ورقة مطويّة.

فتحتها.

كلمات قليلة، بخط مألوف:

"ما تنسى الوردة البيضا اللي عطيتني ياها يوم المطر."

"أنت قلت إنك ما بتنسى... بس نسيتني."

تجمدت.

هذه الكلمات تشبه رسائل ليان... لكنها لم تكتب بخطها.

وضعت الورقة جانبًا، فتحت أحد الأدراج.

وجدت ورقة أخرى.

نفس الخط.

"كل شي عم يصير هلأ، بلّش وقتها... بس ما خلص."

بدأ الشك يتمدد في داخلي.

أمسكت دفتر الوجوه، وفتحت صفحة جديدة.

كتبت:

"الرسائل تتحدث بلسانها... لكن اليد التي تكتب ليست يدها."

توجهت إلى غرفة أحمد.

لم يكن موجودًا. دخلت بهدوء.

على مكتبه، دفتر ملاحظات مفتوح.

نظرت إليه.

الخط... متطابق تقريبًا مع الورقة التي وجدتها.

لكنّي لم أستطع أن أقرر.

في تلك اللحظة، سمعته يفتح الباب.

خرجت من الغرفة بسرعة، واتجهت نحو غرفتي.

بعد لحظات، دخل سليم.

"مرحبا إياد... كنت مارق، قلت بطمن عليك."

ابتسمت بصعوبة.

"تمام... بس تعبان شوي."

جلس على الكرسي.

"حاسك مو طبيعي... في شي؟"

"سليم... بتتذكر ليان؟"

ارتبك.

"أكيد بتذكرها... ليش؟"

"إذا قلتلك إنو عم توصلني رسائل بصوتها... بتصدق؟"

سكت.

"والأغرب... إنو الخط يلي مكتوب فيهن، بيشبه خط أحمد."

حاول أن يضحك، لكن صوته خانته:

"إياد... لازم ترتاح شوي، يمكن التعب عم يخيّلك شغلات..."

نظرت إليه.

"ولا يمكن في شي عن جد عم يصير... وإنت بتعرف."

"لا تكمل حكي".

"برجع بشوفك، إياد... بترتاح وبنحكي."

خرج بسرعة.

وأنا بقيت أنظر للباب.

الملاحظات... ما عادت عشوائية.

في شي عم يتجمّع، عم يتبلور... وعم يحاصرني.

الجزء الثالث: مواجهة في الظل

لم أعد أحتمل الصمت.

كنت أمشي في الغرفة ذهابًا وإيابًا، وكل صوت داخلي يصرخ: واجهه!

أخذت الورقتين اللي وجدتهن، والدفتر اللي بخط أحمد، ونزلت.

كان أحمد جالسًا في الصالة، يقرأ بهدوء.

وقفت أمامه.

"أحمد... لازم نحكي."

رفع نظره عن الكتاب.

"أكيد."

جلست مقابله.

وضعت الورقتين على الطاولة.

"هدول... كأنو مكتوبين بخطك."

تأمّل الكلمات... ثم قال بهدوء:

"إي، أنا كتبتن."

نظرت إليه بدهشة، وقبل أن أتكلم، تابع:

"بعرف إنو غريب... بس كنت مجبر جرّب ساعدك تتذكر."

"شو يعني؟ عم تضحك عليي؟"

"لأ. أبداً. إياد، وقت بلشت حالتك تتدهور، ما كنت عم تسمعني... لا أنا ولا مي ولا حتى حالك. قلت لحالي: يمكن إذا وصلك شي مكتوب... من حدا بيشبها، تتفاعل أكتر."

"بس ليش هيك؟ ليش متل الغاز؟ ليش مو بالحقيقة؟"

"لأنك ما كنت جاهز... كنت عم تنهار. ولو واجهتك دفعة وحدة بالحقيقة، كنت رح تفقد حالك نهائي."

سكتُ.

هو لم يكن يدافع... كان يشرح.

تابع:

"الرسائل مو كلها مني. في وحدة منهم... كانت حقيقية. وصلت من رقم ما بنعرفه. ومن بعدها، أنا قررت ساعدك بطريقتي."

"وكيف دخل سليم بالموضوع؟"

"ما دخل رسمي، بس كان بيعرف، وكان عم يساعدني أراقبك، ننتبه إذا في شي خطر."

نظرت في عينيه:

"بس في شي عم يصير أكبر من هيك، صح؟"

هزّ رأسه.

"في شخص تاني، عم يتلاعب... ومو لحاله."

"مين؟"

تنهد ببطء.

"كرم."

شعرت بأن الدم انسحب من وجهي.

"كرم؟! صديقي؟"

"مو مثل ما بتتخيل. أنا تابعت ملفك الجامعي، وسألت شخص من الأمن المعلوماتي. وطلع إنو في تبادل بيانات بين كرم وحساب مشفّر... فيه معلومات عنك، عن وضعك، عن علاقتك بليان."

"عن ليان؟"

"إي... وعرفت إنو في بنت كانت على تواصل معه. بس ما عرفت مين هي... مو من الجامعة. بس من الواضح إنو كرم مو لحاله بهاللعبة."

شعرت بدوخة خفيفة.

"يعني... في جهة عم تراقبني، وتعرفني، وعم تتلاعب فيني؟"

قال:

"إياد، لازم نواجه الموضوع. أنا جمّعتلك كل شي قدرت لاقيه... في ظرف بدي أعطيك ياه، وفيه صور، أسماء، تواريخ... إنت بتقرره إذا بدك تفتحه."

نهض واتجه لغرفته، ثم عاد بعد دقيقة.

مدّ يده.

ظرف أسود.

أخذته.

قال:

"من اللحظة اللي تفتح فيها هاد... ما رح يضل شي متل ما كان."

الجزء الرابع: ملف

صعدت إلى غرفتي والظرف بين يدي كأنه عبوة ناسفة.

جلست على طرف السرير، ترددت.

ثم فتحت الظرف.

في الداخل:

صورة.

ورقة مطبوعة بمحادثة بريد إلكتروني.

ملاحظة صغيرة بخط أحمد.

بدأت بالصورة.

كرم، يقف في مقهى، يضحك... وبجانبه فتاة.

تشبه ليان.

لكنها ليست هيّ.

لكن شعرها أطول، لون عينيها أغمق، ونظرتها... مختلفة.

كانت تنظر للكاميرا وكأنها تعرف تمامًا من سينظر إليها لاحقًا.

قلبت الصورة.

بخط صغير:

"أخذت في 5 حزيران – مقهى ساحة الحرية."

ثم نظرت إلى ورقة المحادثة:

عنوان البريد: mirror.reflection7@...

المرسل: "R"

المستلم: كرم الج.

نص الرسالة:

"وصلتو الرسالة. صوته بدأ يتغيّر. ما بقا فيني شوف فيه شي من إياد اللي كان معي. كل شي عم يشتغل حسب الخطة. باقي الخطوة الأخيرة... نرجّع له الحادثة."

شعرت بحرارة تسري في رأسي.

الفتاة... تعرفني. كرم... متورّط. والحادثة؟

أي حادثة؟

ثم نظرت إلى الملاحظة من أحمد:

"إياد، الصورة مو كذبة... بس مو كل الحقيقة كمان. الشخص اللي بالصورة مو ليان. اسما... رح تعرفه بالفصل الجاي من حياتك. بس خليك واعي، لأن انعكاسها أخطر من صورتها."

الجزء الخامس: بس... هي ميّتة

بقيت ممسكًا بالصورة طويلا ً.

تأملتها من جديد.

الملامح... شبه مخيف. لكن التفاصيل مختلفة.

ليان؟ لا. هذه ليست ليان.

لكن تشبهها حدّ الألم.

عدت إلى الظرف، فتشت أكثر.

كان هناك ورقة مطوية. فتحتها.

مكتوب بخط واضح:

"رهف. الأخت التوأم لليان."

ارتجفت أصابعي.

رهف؟

هل كنت أعرف؟ هل ليان حدثتني عنها؟

بحثت في ذاكرتي... لا شيء. لا صورة. لا ذكرى. فقط فراغ.

ثم، كأن الغرفة انكمشت حولي، انفتحت ذاكرة مدفونة:

أنا، في المقعد الأمامي. ليان، تضحك، تمد يدها لتزيد الصوت في الراديو. ثم... أضواء. فرامل. صرخة.

ثم ظلام.

عدت للواقع.

تنفسي تقطع.

أمسكت رأسي بيديّ، حاولت أن أستوعب.

هل كنت أنا السبب؟ هل ليان ماتت... وأنا خرجت دون ذنب... أو ذاكرة؟

ثم جاءني طيف صوت والدي.

من آخر لحظة قبل وفاته، حين كنت إلى جانبه في المستشفى:

"إياد... لا تصدق كل شي بتشوفه. الحقيقة مو دايمًا قدامك... مرات بتجي بعد ما نموت."

وقتها، لم أفهم. اليوم... كل كلمة منه كانت جرس إنذار.

وقفت أمام المرآة.

نظرت إلى نفسي.

لكن ما رأيته لم يكن أنا.

كان وجهًا يعرفني.

لكنّه لا يشبهني.

همست:

"بس... هي ميّتة."

ثم استدرت نحو النافذة.

وفي زجاجها، انعكس ظلّ... يشبه ليان.

أو ربما... يشبه رهف.

لكن حين رمشت، اختفى.

ولم يبقَ... كان أنا، وحيدًا، في غرفة ممتلئة بالأسئلة، والذكريات... والندم.

الفصل السادس: انعكاس مشقوق

الجزء الأول: كسر في المرآة

الليل مرّ بطيئًا... كأنّه يختبر مدى احتمالي للظلال.

استيقظتُ على صداع حاد. رأسي ينبض من الداخل، والصور تمر أمامي كأنها شريط فيلم مكسور.

ضوء أبيض. صوت ارتطام. ثم صراخ.

ثم... وجه ليان.

لم يكن واضحًا. مجتزأ. كأن الذاكرة تخجل من إكمال الصورة.

جلست على حافة السرير، أتنفّس بصعوبة.

ذهبت إلى الحمام، غسلت وجهي.

رفعت رأسي نحو المرآة.

لم أعد أكرهها. لكنني لم أعد أثق بها أيضًا.

نظرت في عينيّ.

قلت لنفسي بصوت منخفض:

"كنت هناك... كنت معها... بس ليش ما بتتذكّر؟"

عدت إلى غرفتي.

فتحت دفتر الوجوه.

كتبت في الصفحة الجديدة:

"رهف – تشبهها، لكن لا تشعر مثلها. تبتسم، لكنها ما بتدقّيني. بتعرفني... بس ما بتذكرني."

"إذا كانت ليان ماتت معي... فرهف شو بدها مني؟"

ثم أغلقت الدفتر.

في تلك اللحظة، شعرت بأن هناك "شيئًا" في داخلي بدأ يتصدّع.

لم أعد أعرف من أكون أكثر من لحظة. لكنني عرفت شيئًا واحدًا:

الذاكرة ما عاد فيها مكان للكذب.

وحان وقت الكسر الكامل.

الجزء الثاني: اللقاء الأول

خرجت من البيت في الظهيرة.

مشيت دون هدف واضح، فقط لأ ُبعد جسدي عن المكان الذي يضجّ بأسئلتي.

كان الجو ملبّدًا بالغيوم، وكأن السماء بدورها مترددة.

اتجهت نحو مقهى صغير عند زاوية الشارع، لا أدري لماذا، لكن خطواتي قادتني إليه كأنني أعرف أنه مهم.

جلست في الزاوية الأخيرة، قرب النافذة. طلبت شايًا.

وبينما كنت أنظر في الفراغ، سمعت صوتًا ناعمًا يقول:

"بقدر أقعد؟"

رفعت رأسي.

كانت... هي.

رهف.

لكنّها لم تقل اسمها.

فقط وقفت هناك، بابتسامة خفيفة، وكأنها تعرفني أكثر مما أعرف نفسي.

أومأت لها. جلست مقابلي.

قالت: "أنا بعرف إنو وجودي هون ممكن يكون غريب... بس كنت مارقة، وشفتك من الشباك."

أجبتها بهدوء:

"إيه... الدنيا مليانة صدف."

نظرت في عيني مباشرة.

"أنا مو صدفة، إياد. ولا إنت."

توقفت يدي عن تحريك الملعقة.

"شو قصدك؟"

قالت:

"إنت بتعرف الجواب... بس عم تهرب منو. أوقات، الهروب أسهل من الاعتراف ، صح؟"

سكتٌ.

نظراتها كانت ثقيلة... ليست نظرات حقد، ولا حتى نظرات حنين. كانت نظرات شخص لديه شيء يجب أن يقال... لكنه لم يقرر .

"أنا بشبهها، صح؟"

لم أرد.

"بس أنا مو هي."

تطقت بالكلمات،

وأنا شعرت بأنني أرتجف من الداخل.

"ليان... ماتت، إياد. ماتت وانت كنت معها."

فتحت فمي لأتكلم، لكن الصوت خانني.

أكملت: "بس هاد الشي ما بيمنع إنو اللي ضلّ منّا... لازم نكمل القصة. حتى لو صار فيّا أنا اللي ضلّ."

"ليش؟ ليش هلأ؟ ليش عم ترجعي؟"

"لأنو بعض القصص ما بتنتهي بالموت... بتنتهي بالحقيقة. وإنت، إياد... ما عرفت الحقيقة بعد."

ثم نهضت ببطء.

"رح نلتقي قريب... عن جد. ولما نلتقي، لازم تكون جاهز. جاهز تتذكّر كل شي."

ومشت.

تركتني وحدي.

لكن شيئًا في قلبي لم يكن وحيدًا أبدًا منذ أن نظرت في عينيها.

كانت هي... أو كانت ظلها.

لكن الألم؟ كان نفسه تمامًا.

الجزء الثالث: كرم

في اليوم التالي، لم أخرج من غرفتي.

جلست لساعات، أراقب السقف، وأفكر.

وجه رهف ما زال أمامي... وصوتها، كل كلمة فيه كانت تهزّني من الداخل.

"إنت كنت معها... وماتت."

لم يكن ذلك فقط تصريحًا بالحقيقة... بل إعلانًا عن بداية انهياري.

فجأة، طرق أحمد الباب.

"إياد؟ في شي لازم تشوفه."

فتح الباب ودخل، يحمل حاسوبه المحمول.

جلس إلى جانبي، فتح ملفًا، وقال: "ما بدي طول عليك... شوف هاد التسجيل."

شاشة سوداء... ثم صوت.

كرم.

صوته واضح، يتحدث عبر مكالمة مسجّلة.

"إياد عم يتحسّن، بس ببطء. بظن إنو لازم ندفعه لحدوده شوي أكتر. رهف عندها خطة جديدة."

ثم صوت أنثوي:

رهف.

"هو ما عاد يتذكر مني شي، وهاد لصالحنا. بس لازم نرجّعله الحادثة... كامل. بدنا نكسره حتى يعترف بالحقيقة بنفسه."

توقف التسجيل.

نظرت إلى أحمد.

"من وين هاد؟"

"مصدر موثوق... طالب من دفعة سابقة لكرم، كان اشتغل معه على مشروع تخرج، وسجّل المكالمة بالغلط. بس من وقتها، اختفى عن التواصل... وكأنو... خاف."

لم أعلق.

أحمد تابع:

"كرم ما كان بس صديق... كان يراقبك، يسجّل ردات فعلك، ويبعث كل شي لرَهف. هنّي كانوا متعاونين. بس هي، رهف، عندها دافع أعمق. حقد."

قلت بهدوء:

"لأنو كنت مع ليان وقت ماتت."

"إي. وهي بتشوفك السبب، حتى لو ما بتعرف التفاصيل كلها. وكرم... ما همه غير التجربة، والنتائج. حتى لو انكسرت."

قمت من مكاني.

توجهت إلى النافذة.

كنت أرتجف... من الغضب، من الذنب، من الوضوح القاتل.

"وين كرم؟"

أحمد تردد، ثم قال:

"بيتلاقى مع رهف دايمًا بمكان واحد... القبو الأدبي، بالمبنى المهجور شرق الجامعة. المكان اللي كانوا يشتغلوا فيه مشروع بحثهم. بس لازم تكون حذر. رهف... مو متل ما بتبين."

نظرت إليه.

"أنا ما عاد عندي شي أخسره، أحمد. بس عندي شي لازم أفهمه."

ثم همست:

"إذا كنت السبب بموت ليان... بدي أعرف. وإذا كنت ضحية... بدي أعرف كمان."

خرجت من الغرفة.

وتركت كل الأسئلة خلفي... لأني كنت ذاهبًا نحو الإجابة، حتى لو كانت نهايتي.

الجزء الرابع: استرجاع الحادثة

في تلك الليلة، لم أستطع النوم.

استلقيت على السرير، لكن رأسي كان ممتلئًا أكثر من أن يحتمل.

كل الأصوات، كل الوجوه، كل الكلمات... أصبحت حلقات متشابكة، تسحبني نحو قاع مظلم.

ثم... بدأت الرؤية.

لم تكن حلمًا. لم تكن ذكرى واضحة. كانت أشبه بمشهد يُعرض داخلي، رغمًا عني.

أنا، أقود السيارة. الشارع رطب، الليل كثيف، والمطر بدأ يهطل بخفة.

ليان بجانبي، تربط شعرها، وتضحك.

قالت: "بتعرف؟ إذا متنا اليوم، ما رح أندم على شي... يمكن بس على إنو ما كتبتلك رسالتي."

ضحكتُ.

"ليش؟ كنتي رح تعترفيلي؟"

"إيه... يمكن. بس خلص، راحت الفرصة."

ثم... الضوء.

ضوء أبيض قوي... سيارة مسرعة من جهة معاكسة.

فرامل. انحراف حاد. صرخة ليان.

ثم... صوت تحطّم.

ثم ظلام.

ثم... صفير أجهزة، رائحة مطهّرات.

أنا ممدد على سرير. شخص ما يضع يده على رأسي.

صوت مي تبكي.

وصوت أحمد يقول:

"ما بيذكر شي... يمكن هالشي نعمة."

ثم يعود الظلام.

استيقظتُ وأنا أصرخ.

كان جسدي غارقًا في العرق، وقلبي يكاد يخرج من صدري.

جلست، أمسكت رأسي بكلتا يديّ.

ليان... ماتت معي.

كنت معها.

كنت السبب؟

لا أدري. لكنّي كنت هناك.

عدت إلى دفتر الوجوه.

كتبت:

"أنا كنت في المقعد الأمامي. وكانت هي تحلم. وأنا... كنت أضحك. ثم، كنت أبكي. ثم، لم أكن شيئًا."

أغلقت الدفتر.

والدموع نزلت... بصمت.

أصبحت أعرف شيئًا جديدًا:

الذنب له صوت، وله شكل... وله ظلّ ينام قربك كل ليلة.

الجزء الخامس: المواجهة القادمة

في الصباح التالي، استيقظتُ وأنا أشعر أني مختلف.

لم أكن أقوى. ولا أضعف. كنت فقط... مستعدًا.

استعدت صور الحادث، كلمات ليان، صمت رهف، صوت كرم.

كلها أصبحت واضحة. لكن شعورًا جديدًا بدأ يظهر بداخلي:

الحقيقة ليست نهاية... بل بداية جديدة، حتى لو كانت مؤلمة.

خرجت من غرفتي، وجدت أحمد في المطبخ.

نظر إليّ، وقال: "نمت شي؟"

أومأت.

"استرجعت كل شي؟"

"كلو... أو تقريبًا. بس بعرف إنو لازم شوف كرم."

أحمد هزّ رأسه.

"كرم ما رح يعطيك الحقيقة بسهولة... ولا رهف. هنّي ما بدّن تذكر، بدّن تعيش اللوم."

قلت بهدوء:

"أنا ما عاد بدي لوم، بدي فهم."

قدّم لي ورقة.

"هاد عنوان المبنى... القبو اللي حكيتلك عنه. كرم بيكون هنيك مع رهف بهالساعة من الأسبوع."

أخذت الورقة.

قميصي، مفكرتي، ومفاتيحي.

قلت لأحمد: "إذا ما رجعت خلال ساعتين... لا تجي وراي. بس افتح هاد الظرف."

ناولته ظرفًا كتبته صباحًا.

قال: "شو فيه؟"

"إذا شي صارلي... لازم حدا يعرف الحكاية متل ما أنا شفتها."

ثم خرجت.

السماء كانت غائمة، والهواء باردًا.

وصلت إلى المبنى المهجور، دخلت من الباب الجانبي.

كل شي كان صامتًا... إلا قلبي.

درج، ممر، ثم بوابة صغيرة تؤدي إلى القبو.

فتحتها.

الصوت الأول كان رنينًا خافتًا... متل نغمة حلم بعيد.

ثم صوت خطوات.

ثم... هي.

رهف.

واقفة في الظلّ، شعرها مبلول قليلًا من المطر، وعيناها تلمعان.

قالت:

"أخيرًا وصلت. تأخرت كتير، يا إياد."

سكتُ.

قالت:

"بس لساتنا بلشنا... لسه في وجهك ما شفته. وجه الحقيقة الكاملة."

نظرتُ خلفها.

في الزاوية... كان كرم.

جالس، هادئ، يراقب.

رفعت رأسي، وقفت في المنتصف بينهما.

وقلت:

"أنا هون... لتخلص اللعبة."

ثم أُغلق الباب خلفي... بصوت مكتوم، وكأنّ الغرفة ابتلعت صدى الحقيقة.

الفصل السابع: ظلي أقرب إليش

الجزء الأول: جلسة بلا رحمة

الجو داخل القبو كان خانقًا.

الجدران الحجرية الرطبة، الإضاءة الصفراء الضعيفة، وصوت التنقيط المتكرر من أنبوب ماء قديم... كل شيء هنا يوحي بأن الحقيقة لن تكون لطيفة.

جلست على كرسي خشبي مهترئ، بينما كرم وقف قبالتي، ورهف تجلس على الطاولة، تتأملني بصمت، بملامح لا تستطيع أن تخفي جراحها... أو كرهها.

قال كرم:

"بتعرف شو مشكلتك يا إياد؟ إنك عايش بفكرة إنك الضحية... بس إنت كنت الجلاد من اللحظة الأولى."

نظرت إليه بصمت.

رهف قالت:

"كنت معها... وسِبتها. تركتها تموت، ونسيت. نسيت كل شي، حتى أنا."

همست: "ما نسيت... أنا انكسرت."

كرم ضحك.

"إنك تنكسر شي، وإنك تتهرّب شي تاني. بس بما إنك هون، صار وقت المواجهة الحقيقية."

اقترب أكثر، جلس قبالتي، وقال: "شو بتتذكر من صوتها؟ من عيونها؟ من الليلة؟"

أغمضت عينيّ... عاد المشهد للحظات، لكن ببطء. ثم تلاشى.

كرم تابع:

"هي كانت تحبك... وإنت خذلتها. لما ماتت، مات معها جزء من رهف. وإنت... كنت السبب."

ثم همس بجملة باردة:

"وحتى اليوم، إنت ما استاهلت تحبك... لا هي، ولا أختها."

وفجأة، قبل أن أتكلم، سُمع صوت ضربة قوية.

الباب انفتح بعنف.

دخل أحمد، عيونه مشتعلة، صوته غاضب:

"كرم! نزّل إيدك عنو فورًا!"

تجمّد كرم، وأنا حدّقت بأحمد غير مصدّق.

أحمد مشى بخطوات سريعة، ودفع كرم بقوة إلى الحائط.

"شو مفكر حالك؟ عالم نفسي؟! ولا إله بتقرّر مين يتعذّب ومين يشفى؟!"

كرم حاول يستعيد توازنه: "أنت ما بتفهم! هاي تجربة، وأنا عم..."

"لا! أنت عم تلعب بعقلو! وعم تستغل وجعه لتكسب شي لنفسك."

رهف نهضت، صرخت: "أحمد! شو جاي تعمل؟!"

أحمد التفت إليها، وقال بصوت أخفض، لكن أوضح من أي وقت:

"رهف... إنتِ مفكرتي كرم عم يساعدك؟ كان يراقبك، يسجّل مكالماتك، ويكتب عنك تقارير، متل ما عمل بإياد. كل شي عم يصير، كرم عم يستثمر فيه... مو يعالج فيه."

رهف ارتبكت.

نظرت إلى كرم.

"كرم... هاد الحكي صح؟"

كرم لم يرد.

عيناه كانت تحملان شيئًا جديدًا... خوف؟ ندم؟ أم فقط انكشاف؟

أحمد أكمل:

"إياد مو لحالو بهالحكاية. وأنتِ كمان لازم تعرفي الحقيقة قبل ما تفكري بكل شي."

رهف جلست ببطء... ووجهها انكسر لأول مرة.

أما أنا، فقد كنت ما بين دهشة... وراحة. لأول مرة منذ شهور... أحسست أنني لم أعد لوحدي

الجزء الثاني: انتفاضة العقل

بعد لحظات الصراخ، وصدمة رهف، وصمت كرم، ساد القبو صمت غريب... وكأنّ الجدران لم تعد قادرة على احتواء ما قيل.

جلست على الكرسي، أتنفّس بصعوبة، أشعر بأن شيئًا يتفتّت بداخلي، لكن لا يسقط.

كنت على حافة الانهيار... لكن في قلبي، بدأت تتشكّل مقاومة.

الصوت الداخلي، الذي كان يهمس لأسابيع، بدأ يعلو.

"ما بقا فيك تهرب، إياد. بس مو لازم تسلّم كمان."

نظرت حولي.

كرم مستند إلى الحائط، عيونه تزوغ، كأنه يبحث عن مخرج.

رهف جالسة، وجهها فقد صلابته، شفاهها ترتجف.

وأحمد واقف إلى جانبي... صامت، لكنه موجود.

أغمضت عيني.

وفجأة... كان والدي هناك.

في خيالي، في رأسي، في قلبي.

قال بصوته العميق الهادئ:

"خد الحقيقة... بس لا تعطيها كل شي منك. الحقيقة أحيانًا بتكون فخ، إذا صدّقتها قبل ما تكون جاهز."

فتحت عينيّ.

نظرت إلى رهف.

وقلت:

"أنا آسف. آسف إنو ما كنت الشخص يلي بتحسيه أنقذ أختك. بس كمان... أنا مو قاتلها. أنا كنت معها، متل ما هي كانت معي. وإذا في شي بقي منا... فهو هاد الشي: إنو كنا لبعض، بلحظة الموت."

رهف عيناها أدمعت لكنها لم تنطق حرفًا.

توجهت إلى كرم.

"وإنت... بتعرف شو الفرق بينك وبين العلم الحقيقي؟ إنو العلم بيحاول يفهم البشر... مو يكسرن مشان يفهمن."

كرم فتح فمه ليرد، لكن صوته كان فارغًا. ما قدر يقول حرف.

تقدّمت نحو الباب.

أحمد تبعني.

رهف وقفت فجأة، كأنها تريد أن تقول شيئًا... لكن نظرت إلى كرم، ثم إليّ... ثم سكتت.

قالت رهف بصوت خافت: "إياد... إذا شفتها بحلمك الليلة... قِلها إني اشتقتلها."

أومأت.

تقدّمت مع أحمد نحو باب القبو.

مددت يدي إلى المقبض، لكن قبل أن أفتحه، سمعنا صوت كرم خلفنا:
"ما خلصت القصة... ولا رح تخلص بهالسهولة."

التفتنا.

كرم واقف، يمد يده داخل جيبه.

بلمح البصر، سحب مسدسًا صغيرًا، ورفعه باتجاهي أنا وأحمد.

"بتفكروا حالكن أبطال؟! كلشي عم يصير هون... جزء من تجربة، وأنا ما بخسر تجاربي بهالسهولة."

رهف صرخت: "كرم!! شو عم تعمل؟!"

أحمد وقف أمامي، رفع إيده بهدوء:

"كرم... نزّل السلاح. إنت تعبت، ومو واعي شو عم تعمل."

كرم شهق بسخرية:

"أنا أوعى منكن كلكن! وإذا ما خلصت اللعبة بإيدي... ما رح أخلّيكن تخلّصوها."

وجه السلاح باتجاه أحمد.

أنا تجمّدت، وكل شيء بدا وكأنه توقف.

أغمضتُ عيناي لكي لا أرى ماذا سوف يفعل.

كنتُ متأكدًا أنّ نهايتنا هنا.

ثم فجأة...

صوت ارتطام حاد!

كرم صرخ... ووقع المسدس على الأرض.

ظهر سليم من الظل، ممسكًا بقضيب حديدي.

ضرب كرم على كتفه ضربة قوية، طرحته أرضًا.

أحمد قفز فورًا، دفع المسدس بعيدًا.

سليم جلس فوق كرم، ثبّته بقوة.

كرم يئنّ من الألم.

أنا ما زلت لا أستوعب.

نظرت إلى سليم:

"إنت... كيف؟!"

أحمد ابتسم بخفة رغم التوتر:

"كنت متوقّع هالشي. كرم ما بيترك شي مفتوح... قلت لسليم يضل قريب من القبو، متخفي. ولو صار شي... يكون جاهز."

سليم، وهو يضغط على ذراع كرم:

"بعرف إني ما كنت دايمًا مفيد... بس حسّيت إنو حان الوقت أعمل شي صح."

رهف واقفة، وجهها شاحب، وعيناها تدمع.

كرم على الأرض، لا يتكلم.

لكن نظراته؟ كانت تشتعل... بنيران الخسارة.

وأنا؟ كنت أتنفّس أخيرًا... كأن أحدًا فكّ عني قيدًا دام سنين.

الجزء الثالث: سقوط كرم

كان كرم مستلقيًا على الأرض، أنفاسه متقطعة، ووجهه يقطر عرقًا وغضبًا.

سليم لا يزال يثبّته، وأحمد يقف إلى جانبي، بينما أنا أحدّق في ملامح الرجل الذي كنت أظنه صديقًا... وكان هو في الحقيقة أقرب إلى الجلاد.

أحمد اقترب منه ببطء.

قال بهدوء، لكن كل حرف كان كالسوط:

"بتعرف شو أسوأ شي فيك، كرم؟ مو إنك غدرت بصديقك... ولا إنك استغليت وجع أخي. أسوأ شي فيك إنك فكرت حالك أعلى من الكل... حتى من الحقيقة."

كرم شهق بسخرية، بصوت ضعيف: "الحقيقة؟ الحقيقة وهم... متل الذاكرة. وإياد كان حالة. حالة لازم تنفهم، لو شو ما كلف."

سليم قال بحدة:

"حتى لو كلف حياتو؟"

كرم التفت إليه بعينين حاقدتين:

"حتى لو. وإنت يا سليم... كنت أضعف من إنك تكون جزء من الخطة. بس طلع إنك أحمق، لأنك دمّرت البحث."

سليم ابتسم بخفة:

"إذا كان بحثك بيستاهل موت إنسان... فمنيح إنو اندمر."

رهف كانت واقفة على الطرف، صامتة، شاردة. ثم فجأة، مشت نحونا، وقفت أمام كرم.

قالت بصوت مرتجف:

"كرم... كل هالوقت، كنت مفكرتك عم تساعدني. بس أنت كنت تراقبني كمان، صح؟ تكتب عني، تراقب دموعي، وتحللني؟"

كرم لم يجب. لكن سكوته كان أكثر إيلامًا من أي اعتراف.

رهف نزلت دمعة واحدة من عينها.

"يعني حتى أنا... كنت تجربة؟"

أغمض كرم عينيه.

رهف استدارت، ومشت ببطء نحو الباب.

قالت دون أن تنظر خلفها:

"انتهى دورك، كرم. وحتى لو حاولت ترجع... ما بقا في حدا بيصدقك."

الجزء الرابع: خيار الرحيل

بعد أن خرجت رهف، ساد صمت ثقيل.

كرم ظلّ على الأرض، لا يحاول النهوض، كأن كل شيء سُحب من تحته.

سليم أرخى قبضته ببطء، ثم وقف، وابتعد عنه.

أحمد التفت إليّ، وقال:

"فيك تمشي، إياد... ما عاد في شي هون إلك."

نظرت إلى كرم للحظة أخيرة.

كان غريبًا... أن تودّع شخصًا كان في يوم ما أقرب إليك من أخ.

قلت بصوت خافت: "أنا ما كنت فارة تجارب. كنت إنسان... مكسور، بس حقيقي. وأنت؟ أنت ما كنت عالم. كنت مراقب خايف يواجه وجعه، فصبّه علينا."

استدرت.

مشيت باتجاه الباب.

سليم بجانبي، وأحمد خلفي.

خطواتنا على بلاط القبو كانت بطيئة... لكنها ثابتة.

حين وصلنا إلى الخارج، أغمضت عينيّ.

الهواء كان بارداً، لكنه منعش... متل أول نفس بعد الغرق.

مشينا سويًا في الشارع الخالي، ثم توقفت.

قلت:

"بدي أمشي لحالي شوي. بدي احكي مع حالي... لأول مرة وأنا واعي."

أحمد ابتسم وقال:

"نحنا وراك... مو قدّامك. وقت تحتاجنا، نحنا موجودين."

سليم أشار بإيده:

"وإذا شفت كرم عم يركض وراك... خبرنا. عندي قضيب حديد جديد."

ضحكتُ بخفة... لأول مرة منذ زمن.

ثم مضيت، وحدي.

لكنّي لم أشعر بالوحدة.

لأنّي كنت أخيرًا... أمشي بإرادتي.

الجزء الخامس: العودة إلى الذات

كانت الشمس تميل إلى الغروب حين وصلت إلى المنزل. لون السماء كان ممزوجًا بين البرتقالي والأزرق، والهواء خفيفًا كأنّه جاء خصيصًا ليقول:

"أنت بخير الآن."

فتحت الباب بهدوء. لا أحد في الصالة. فقط رائحة خبز دافئ، وهدوء يشبه حضنًا قديمًا.

وضعت المفاتيح على الطاولة، ومشيت بخطوات بطيئة نحو غرفتي.

قبل أن أصل، سمعت خطوات صغيرة.

التفتُّ، فكانت زمن، ترتدي بيجاما بيضاء عليها رسوم غيوم ونجوم. وقفت عند الزاوية، عيناها تلمعان.

قالت بفرح:

"إجيت! كنت بعرف إنك رح ترجع."

انحنيت، ومددت ذراعيّ.

ركضت إليّ، وارتمت في حضني، رأسها الصغير على كتفي.

همست:

"اشتقتلك يا زمونة... كتير."

قالت بهدوء:

"ماما قالت إنك كنت مريض... بس أنا عرفت إنك كنت عم تدور عالحقيقة."

ضحكتُ بدمعة علقت بحلقي:

"عرفتي؟"

هزّت رأسها:

"لأنك كنت تحلم كتير... وهلأ شكلك صرت تعرف تحلم أقل."

في تلك اللحظة، دخلت مي من المطبخ. قالت بصوت هادئ:

"رجعت؟"

أجبتها:

"رجعت... بس مو متل ما كنت."

قالت:

"منيح. اللي بيرجع متل ما راح، ما تعلم شي."

جلست معهم. كوب شاي، رائحة ينسون، دفء بسيط، لكنه حقيقي.

زمن كانت ترسم على دفتر صغير. اقتربت منها.

سألتها:

"شو عم ترسمي؟"

أعطتني الورقة.

رسمت بيتًا صغيرًا، وشباك مفتوح، وولد واقف بإيده دفتر، وخلفه ظل طويل.

بس هالمرة، الظل ما كان مرعب… كان متماسك، واقف بجانبه.

سألتها:

"هاد أنا؟"

قالت:

"إي… بس هالمرة، ظلك مو خايف منك."

ابتسمتُ.

نهضت بهدوء، ودخلت غرفتي.

جلست على المكتب، وفتحت دفتر الوجوه.

كتبت في الصفحة الأخيرة:

"أنا لم أعد ما كنت عليه. ولم أعد ما كانوا يقولون إني عليه. أنا ظلّي… لكن ظلّي لم يعد يخيفني. ظلّي… أقرب إليّ من أي وقت مضى."

أغلقت الدفتر.

استلقيت على السرير.

أغمضت عيني.

ونمت... أخيرًا، دون أن أهرب.

الفصل الثامن: نقطة اللاعودة

الجزء الأول: عند قبرها... ولدى نفسي

ذهبت وحدي.

لم أخبر أحمد، ولا مي، ولا حتى سليم.

ركبت الحافلة الصباحية، وجلست قرب النافذة، وعيناي تحدّقان في الضباب الذي يغطي المدينة.

لم أكن أعرف بالضبط ما أريد أن أقوله... لكنني كنت أعلم أنني بحاجة أن أكون هناك.

عندها.

وصلت إلى المقبرة بعد الظهر بقليل.

الهواء بارد، والشمس غائبة خلف طبقة رقيقة من الغيوم.

مشيت ببطء بين القبور، حتى وصلت إلى اللوح الحجري الذي يحمل اسمها.

"ليان السعدي."

الاسم ما زال كما هو. لكن لا شيء كما كان.

وقفت بصمت لدقائق. ثم جلست أمام القبر، وأسندت ظهري إلى الحائط الرملي الجانبي.

أغمضت عيني، وبدأت أتكلم... كما لو كانت تسمعني.

"بعرف إنو صوتي يمكن ما يوصل، أو يوصل ناقص. بس لازم تعرفي، يا ليان... إنك كنتي معي بكل خطوة. حتى وأنا ضايع، حتى وأنا مريض، كنتي بقلبي."

تنفست ببطء. ثم تابعت:

"كنت أهرب من صورتك... مو لأنك وجع، بس لأنك مرآة. أنا ما قتلتك، بس يمكن كنت أضعف من إني أنقذك. وهاد الشي... دمرني."

سكتُ لحظة، ثم نظرت إلى اسمها من جديد.

"أنا بعرف حالي هلأ أكتر. حتى لو بعد ما انكسر كل شي. وأكتر شي لازم تعرفيه... هو إني مريض. إي، إياد مريض. وعارف."

خفضت رأسي، وهمست:

"الدكتور قاللي... اسمه كابيغراس. وهم... بيخليني شوف الناس متل الأشباح. أشخاص متل أمي، أحمد، سليم... بعرف وجّههم، بس قلبي ما بيصدّق إنهم هني. وكأنو تمثيل، وكأنهم نُسخوا."

رفعت بصري، قلت:

"أنا هلأ عارف... بس مو شافي. بس عالأقل، ما عاد عم كدّب عحالي."

وضعت يدي على حجارة القبر، وابتسمت.

"بتمنى تكوني فخورة فيني. ولو شوي. وبتمنى... سامحتيني."

في طريق العودة، توقفت عند مبنى صغير في شارع جانبي.

اللافتة كانت بسيطة:

"عيادة الطب النفسي – د. علي عارف."

دخلت.

الاستقبال هادئ، رائحة خشب، وملفات مرتبة بعناية.

استقبلتني المساعدة، وسجّلت اسمي.

انتظرت عشر دقائق.

ثم دخلت.

رجل خمسيني، هادئ الملامح، نظر إليّ مبتسمًا.

قال:

"أهلا ً إياد... تفضل."

جلست أمامه، وساد الصمت لحظة.

ثم قلت:

"أنا مريض. وبعرف. بس بدي... أكون واعي. مو ضحية أكتر."

ابتسم، وقال:

"هاي بداية عظيمة. ومن هون، بنبلّش سوا."

أخفضتُ رأسي وقلت:

"دكتور أنا معي متلازمة كابيغراس، وأنا لهاد الوقت لقدرت أتعايش مع مرضي".

رد بنبرةٍ مترددة:

"أياد هاد المرض من الأمراض النادرة، أنت أول حالة بتمرق لعندي معها هاد المرض".

وتابع بنبرةٍ هادئة:

"كتبتلك عن هاد الدوا، هو مضاد ذهان ومناسب لحالتك".

ومدّ لي يده حاملًا ورقة، مُحملةً بأسم الدواء المطلوب.

خرجت من العيادة وقلبي مثقلٌ بالطمئنينة، أعدتُ توازني ونظرتي للواقع.

الجزء الثاني: وجوه تحت الظل

في الأيام التي تلت زيارتي للقبر، وزيارتي الأولى للطبيب، شعرتُ وكأنني أبدأ من جديد... لكن لا أمشي على أرض، بل على خيط مشدود بيني وبين كل من حولي.

أحمد كان يُراقبني بصمت. مي كانت تبتسم أكثر من المعتاد. سليم؟ يحاول أن يجعل كل شيء يبدو طبيعيًا.

لكن الأهم... أنني أنا لم أعد أخاف من المرايا.

كنت جالسًا في المطبخ حين دخل أحمد، يحمل هاتفه بيده.

قال وهو يمدّه لي:

"شوف هالخبر."

قرأت العنوان:

"نقل طالب جامعي إلى مركز للعلاج النفسي بعد حادثة تهديد مسلح داخل مبنى مهجور."

الصورة كانت غير واضحة، لكنني عرفت من هو.

كرم.

أكمل أحمد:

"نقلوه من الجامعة، بس مو عادي. ما في تحقيق، ما في اعتقال، ولا حتى تقرير رسمي. الموضوع اتلفلف بطريقة غريبة... كأن في حدا عم يحميه."

سألت:

"مين؟"

هزّ رأسه:

"ما في أسماء. بس اللي متأكد منو... إنو كرم ما كان عم يشتغل لحالو."

سكتُ لحظة. ثم سألت:

"رهف؟ وينها؟"

قال:

"ما حدا شافها من وقتها. حتى مي ما عندها فكرة. كأنها اختفت."

وبعد ساعة، وصلتني رسالة غريبة على بريدي الإلكتروني.

من عنوان بلا اسم.

"ما بتنتهي القصة بالموت... بتنتهي بالاختيار."

حدّقت فيها طويلًا.

لم أعرف من كتبها، لكن إحساسي قال لي... رهف.

أو ربما شخص آخر... خلفها.

أغلقت الجهاز، وكتبت في دفتر الوجوه:

"كرم سقط، لكن ما اختفى. رهف سكتت، بس ما انتهت. وفي شي... خلف الستارة. وأنا ما عاد رح كون الستارة."

الجزء الثالث: العيون التي لا تنام

منذ تلك الرسالة، لم أعد أرتاح في البيت كما كنت.

ليس خوفًا... بل شيء يشبه التنبيه الدائم. كأنني أعيش في وضعية "استعداد" مستمرة.

كل صوت صغير، كل ظل عابر، كل اهتزاز خفيف على زجاج النافذة، بات له معنى.

في اليوم التالي، خرجت إلى الحرم الجامعي. كنت أتمشى في المسار الحجري الطويل المؤدي إلى المكتبة، حين لمحت شابًا يقف قرب شجرة بعيدة، يرتدي كنزة رمادية، ويضع قبعة تخفي جزءًا من وجهه.

نظرت إليه، فتظاهر بأنه ينظر في هاتفه. تابعت طريقي، لكن إحساسي لم ينطفئ.

بعد دقائق، حين خرجت من المكتبة، لم أجده. لكنّ ورقة كانت ملقاة على المقعد القريب.

ورقة مطوية بعناية. فتحتها.

لم يكن فيها سوى سطر واحد:

"إذا صار ظلّك أهون من وجهك... اعرف إنك عم تتكرر."

عدتُ إلى المنزل، دخلت غرفتي، وأغلقت الباب بالمفتاح.

جلست على المكتب، أخرجت دفتر الوجوه، وأضفت:

"الظل يتبعني، لكن في هذا العالم، قد يكون الظل هو من يراقبني... لا العكس."

أطفأت النور، وأشعلت مصباح الطاولة.

ورحت أفتّش.

فتّشت داخل بريدي، داخل أوراقي القديمة، داخل الصور المخزّنة على جهازي.

بحثت عن أيّ شيء يوصلني إليها. إلى رهف. أو إلى من خلفها.

في إحدى الصور، ظهرت ملاحظة صغيرة على طرف الشاشة... لم ألاحظها من قبل.

تاريخ معدل. وقت التقاط الصورة مختلف عن وقت إرسالها.

اليد التي أرسلتها... ليست يدي.

ولا جهاز الإرسال هو جهازي.

إذًا؟ من كان يخترقني... قبل أن أعرف أني مخترَق؟

رنّ الهاتف.

كان سليم.

قال:

"بدك تسمع شي؟"

قلت:

"قول."

"أنا اليوم كنت مارق من عند عمارة فاضية جنب الحي... بتعرفها، القديمة يلي فيها الدرج الحلزوني."

"بعرفها."

"شفت رهف."

تجمّدت.

"متأكد؟"

"متأكد. بس كانت لابسة سترة سودة، ونزلت بسرعة من الباب الجانبي. وما لحقت أوصل... كانت اختفت."

"حدا معها؟"

"ما بعرف. بس كان في سيارة سودة واقفة بعيد... شكلها مو للحي."

صمتٌ.

ثم قلت:

"رجعنا؟"

قال:

"يمكن ما وقفنا أصلًا."

أغلقت الهاتف.

وعدت أكتب في دفتر الوجوه:

"بعض الغيابات... بتكون أوضح من الظهور. ورهف؟ غيابها عم يصرخ."

الجزء الرابع: وجوه لا أعرفها

في تلك الليلة، لم أنم بسهولة.

جسدي كان مرهقًا، لكن ذهني يركض، كل التفاصيل الصغيرة التي تجاهلتها في الأيام الماضية، بدأت الآن تترابط.

الرجل في الحديقة، الورقة على المقعد. رسالة البريد المشقّرة، ظهور رهف واختفاؤها.

الأمر لم يعد مجرّد لعبة انتقام. هناك جهة ما، تتحرك في الظل، تتحكم بإيقاع القصة.

لكن الجديد... أنني لم أعد أخاف.

أنا أرى.

في صباح اليوم التالي، خرجت إلى المتنزه العام، المكان الذي كنت أزوره أيام الجامعة، لأكتب، أو لأراقب الناس ببساطة.

جلست على المقعد الحجري القريب من النافورة، وأخرجت دفتر الوجوه.

فتحت صفحة جديدة، وكتبت:

"عندما تبدأ الوجوه بالتشابه، لا تكن أنت من يتشابه. احتفظ بتفردك... ولو صار ظلك أوضح من ملامحك."

ثم رفعت رأسي، ونظرت حولي.

مرّ شاب بجانبي، لم أره من قبل، لكنه نظر إليّ نظرة طويلة.

بعد دقائق، جلست امرأة في الجهة المقابلة. كانت تراقبني من خلف كتاب، لكنها كانت تقلب الصفحات دون أن تنظر إليها.

شعرت بأنني محاط... ليس بالأشخاص، بل بالعيون.

قررت أن أجرّب.

أخرجت هاتفي، ورفعت الكاميرا أمامي، كما لو أنني أصوّر مقطعًا بسيطًا.

في تلك اللحظة... تحركت المرأة فجأة، أغلقت كتابها، ومشت بعيدًا.

تبعتها بعيني، ثم فتحت الكاميرا، وأعدت تشغيل التسجيل.

في الثانية الثامنة... التقطت صورة لوجهها.

عرفتها.

لم تكن رهف. لكن الوجه... يشبهها.

وللمرة الأولى، خطر في بالي سؤال:

"هل يمكن أن تكون رهف... ليست رهف؟"

أغلقت الهاتف ببطء، وأدركت شيئًا جديدًا:

الوهم قد لا يكون مرضي... بل بيئة أعيش فيها.

الجزء الخامس: رسالة إلى ليان

في المساء، كنت وحدي في غرفتي.

الضوء خافت، النافذة نصف مفتوحة، والريح تداعب ستارة خفيفة تتمايل بلا صوت.

جلست على المكتب، ووضعت أمامي دفتر الوجوه.

هذه المرة، لم أفتح صفحة جديدة. بل أخذت ورقة مستقلة، وبدأت أكتب.

رسالة إلى ليان.

"ليان...

اليوم، ما عاد عندي أسئلة. ولا عندي أجوبة. بس عندي شعور لازم تعرفيه.

أنا تعبت من جلد نفسي. تعبت من لوم حالي على شي كنت جزء منه... بس مو وحدي.

تعبت من إنك تكوني الندم اللي ما بيخلص.

بدي تضلي الذاكرة... مو السجن.

بدي تضلي ضحكتك... مو صرختك الأخيرة."

توقفت للحظة، ثم تابعت:

"صار لازم قلك إني مريض. بس هلأ... صرت أعرف المرض. وصار إلي قدرة إني شوف الفرق بين الخيال وبين الحقيقة.

والفرق بين الحب... وبين الذنب.

أنا حبيتك. وما رح خليك تكوني آخر شي حلو بحياتي."

ثم كتبت السطر الأخير:

"أنتِ متتِ... بس أنا ما عاد بدي موت معك."

طويتها بعناية، ووضعتها داخل دفتر الوجوه، في الجيب الخلفي.

ثم نهضت، أطفأت الضوء، وجلست على سريري.

الظلمة ما كانت مخيفة... كانت مطلوبة.

همست لنفسي: "هالمرة... إذا رجعت اللعبة، أنا رح كون جاهز إلها."

ثم أغمضت عيني.

ونمت.

لكن حتى في النوم... ظلّي لم يبتعد.

الفصل التاسع: الغرفة الخلفية

الجزء الأول: أثر من بين الرماد

كانت السماء رمادية، لا غيم ولا شمس، فقط طبقة هادئة من الضوء الباهت تنتشر فوق المدينة. شعرت أنّ هذا اللون هو الأقرب لما بداخلي هذه الأيام، لا ظلام كامل، ولا ضوء شافٍ... مجرد رماد بينهما.

جلست في غرفتي، أمام الطاولة التي صارت شاهدة على كل ما مررت به.

أخرجت دفتر الوجوه.

قلبت أوراقه القديمة، حتى وصلت إلى الصفحة التي كتبت فيها رسالة ليان.

لم أقرأها.

لكنني نظرت إلى خطّي فيها، وشعرت أنني الآن... أكتب بخطّ مختلف، حتى لو لم تتغير يدي.

في المساء، دخل أحمد غرفتي بهدوء، ويده خلف ظهره.

قال:

"لقيت شي مهم... بين أغراض كرم يلي بقيت بالمستودع تبع الأدلة."

أعطاني شيئًا صغيرًا.

"USB؟"

أومأ برأسه:

"بس مو عادي. عليه شفرة تشفير قديمة. كان لازم سليم يساعدني لنفكها."

فتحت الحاسوب المحمول، أوصلت الجهاز.

ظهرت ملفات بدون أسماء واضحة، فقط رموز وأرقام. لكن واحد منها كان بعنوان بسيط: "**EY23** – خطوات الوعي".

فتحت الملف.

كان بصيغة PDF، مكون من عشرات الصفحات.

في الصفحة الأولى:

"العَيّنة رقم 23 – تشخيص: وهم كابيغراس – سلوكيات: متذبذبة – تطور ملحوظ – قابل للتأثر – إمكانية عالية للاستثمار التطبيقي."

رفعت رأسي ببطء.

قال أحمد:

"إياد... أنت كنت ملف. كرم كان عم يكتب تقارير عنك. وهاد الملف انبعت لجهة مو محلية. شي بيشبه مركز أبحاث، أو شي أكتر ظلام من هيك."

تنهّدت.

تابعت التصفح.

في الصفحة 14، وجدت سطرًا مكتوبًا بخط مغاير:

"الغرفة الخلفية – Y.R.12"

همست:

"شو يعني؟"

أحمد هزّ رأسه:

"ما منعرف. بس هاي الكلمة تكررت مرتين تانيات بالملف، ومرتبطة بشي اسمه: Protocol Shadow 6."

أغمضت عيني.

قلت بهدوء:

"أنا ما عدت عينة... بس لازم أعرف... ليش كنت رقم؟"

الجزء الثاني: ربط الخيوط

قضيت الليل أقرأ التقرير صفحة صفحة.

كل جملة كانت بمثابة مرآة سوداء تعكسني بطريقة لم أرها من قبل... لا لأنني كنت أجهل نفسي، بل لأن أحدًا كان يعيد تشكيل صورتي من بعيد.

"إياد – رقم العينة: 23. نسبة الاستجابة: 74%. قابلية التنبؤ السلوكي: 61%. إشارات تطوّر الوعي: تظهر بشكل متقطع. توصيات: الحفاظ على الضغط السلوكي العاطفي لاستمرار التفاعل."

نظرت إلى أحمد، ثم قلت:

"كل اللي صار... كل لحظة شك، كل انهيار، حتى رهف... كان مدروس؟"

قال بهدوء:

"جزء كبير منه، إياد. كرم كان ذكي، بس مو لحالو. هاد ملف مكتوب بلغة مختبرات... مو طالب جامعة."

نظرت إلى اسم المصطلح المتكرر: "الغرفة الخلفية – Y.R.12"

قلت:

ج"شو يعني؟"

هزّ أحمد رأسه:

"ما منعرف. بس الغرفة الخلفية... بتتكرر كتير بالتقارير، ودائمًا بتيجي مربوطة بشي اسمه 'بروتوكول الظل'."

عدت إلى صفحات الملف.

صورة ملتقطة من بريد إلكتروني. رسائل بين كرم وشخص مجهول يوقّع باسم "M".

"العَيّنة بدأت تستجيب بطريقة غير متوقعة. اقترب من نقطة اللاعودة. نوصي بزيادة الحوافز العاطفية."

قلبت الصفحة التالية... فوجدت صورًا من يوميات قديمة. صوري أنا، بصري دون علمي... وجهي في حالات انهيار، في الشارع، في الحافلة.

حتى لقائي الأول مع رهف... موثق.

قلت:

"هاد الشي... مخطط إلو من قبل ما أحكي معها؟"

أحمد ردّ:

"الأرجح إيه. بس هي ما كانت أداة واعية كليًا. اللي استغلوها عرفوا كيف يوصلوا لغضبها، ويحولوها لسلاح... ضدك."

سكتٌ.

شعرت بشيء داخلي ينكمش.

أنا ما كنت مجرّد ضحية لحالة. كنت هدفًا... في تجربة.

وبيدي الآن، أول خيط منها.

أول خيط... نحو الغرفة الخلفية.

.

الجزء الثالث: ملف سليم والمواجهة

في اليوم التالي، اتصلت بسليم. طلبت منه أن نلتقي بسرعة، في نفس المكان اللي كان دايمًا بيتحجج فيه إنو بيرتاح: الكافيه القديم عند الزاوية الشرقية من الحي.

وصل قبلي بخمس دقائق. لما دخلت، كان قاعد، وإيده على كوب قهوة نصه فاضي، وعيناه محدّقتان في الأرض.

جلست أمامه، لم أقل شيئًا. هو رفع نظره، ابتسم بخفة:

"ما كنت مفكر رح تحكيني بهالسرعة."

قلت فورًا:

"قرأت ملف كرم. فيه اسم مختصر: (S.) مذكور كمصدر مراقبة داخلية. ه الشي بيخصك؟"

سليم شهق بصوت خفيف:

"أنا؟ لا والله. بس... يمكن إلي علاقة غير مباشرة."

حدّقت فيه.

أخرج من جيبه ظرف صغير، ووضعه على الطاولة. قال: "من أسبوعين، قبل كل شي، لقيت هاد الظرف جنب باب بيتي. ما كان عليه اسم، بس بداخله... نسخة من محادثات بريد إلكتروني. بين رهف، وشخص اسمه (M.)."

سحبته، فتحته. كانت الورق نظيفًا، لكنه قديم، مكتوب بنمط خفيف مائل، متقن.

"الهدف بدأ بالانفصال التدريجي. العينة تتفاعل بشكل عميق، والحالة تجاوزت التوقع. استمرار التعرض للعوامل العاطفية مطلوب. رهف، حافظي على المسافة النفسية، لكن لا تُغلقي الباب تمامًا."

رفعت عينيّ:

"كانوا يستخدموها. كانوا عم يوجّهوا رهف لتتصرف معي بطريقة محسوبة."

سليم أومأ:

"إياد... أنا ما فهمت كل شي بالبداية. بس بعد أول انهيار كبير إلك، ووقت شفت كيف رهف عم تتصرف، صرت أشك. وهاد الظرف... كان تأكيد لإلي."

قلت:

"ليش ما حكيت من وقتها؟"

قال بهدوء:

"لأني ما كنت بعرف إذا أنت مستعد... أو إذا كنت أصلا ً بدك تعرف."

أخفضت نظري. ثم همست:

"هلأ أنا جاهز. ورح أعرف كل شي... لوحدي إذا اضطرّ الأمر."

أومأ سليم، وقال:

"وإذا احتجتني... بكون وراك، متل ما كنت. بس هالمرة عن وعي."

وضعت الظرف في حقيبتي، ونظرت إلى الخارج.

ط

المدينة لساها بتضحك، بتمشي، بتحكي. بس أنا؟ كنت عم أسمع الصوت الخافت يلي بيحكي ورا وجوه الناس: صوت الغرفة الخلفية.

الجزء الرابع: مي وأحمد يكشفان السرّ

حين وصلت إلى المنزل، كانت مي بانتظاري في الصالة. جلست على الكنبة، وبجانبها حقيبة سوداء صغيرة. مظهرها متماسك كعادتها، لكن عيناها فيهما توتر لا يشبهها.

قالت:

"أحمد اتصل فيني من شوي. قال إنك عرفت. عن كرم... عن رهف... وعن أكتر من هيك."ج

أومأتُ برأسي، دون أن أنبس بكلمة.

دخل أحمد، أغلق الباب خلفه، وجلس بجانبي. أخرج من جيبه ظرفًا أحمر اللون، مختوم بشعار جهة قانونية خاصة.

قال:

"هالملف وصلنا عن طريق مصدر داخلي. شخص ما بعرف اسمه، بس اشتغل تحت اسم (K.) قال إنو ما عاد يقدر يتحمل السكوت، وبعتنا هاد."

أخذت الملف. فتحت الورق الثقيل، وبدأت أقرأ:

"مذكرة تفاهم سرية بين مركز الدراسات العصبية السلوكية وشخص يُدعى ك. ج. مقابل مبلغ يُقدّر بمليون دولار أمريكي، يُقدِّم الطرف الثاني بيانات سريرية وعملية عن حالة نادرة يُرمز لها باسم: العينة رقم 23. العينة تُظهر سمات اضطراب كابيغراس، مع تقلبات واعية مثيرة للاهتمام. يُسمح للطرف الثاني بتطبيق سيناريوهات محفِّزة للسلوك ضمن بيئة اجتماعية حقيقية، دون إخبار الهدف أو محيطه."

توقفت.

أنفاسي ضاقت.

أكمل أحمد بصوت منخفض:

"هاد العقد حقيقي. مو مزوّر. والتاريخ؟ قبل سنتين ونص. يعني حتى قبل ما تبدأ أول نوبة عندك."

مي قالت:

"والشي الأخطر... إنو في جهة باسم 'Y.R.12' كانت ترعى المشروع، وتحوّل دفعات مالية على دفعات. جهة ما إلها وجود قانوني واضح، بس عنوانها بيرتبط بشبكة شركات في أوروبا الشرقية."

رفعت نظري إليهم. قلت:

"وكنتوا بتعرفوا؟"

قال أحمد:

"ما كنا متأكدين. بس بلشنا نشك من شهور. وكل اللي كنا نعمله... محاولة نرسم حدود الخطر حوالينك. بدون ما نكسر جوّك، بدون ما نخلّي الشك يدمّرك أكتر."

مي تابعت:

"أنا حاولت أشتغل قانونيًا. أبحث، أراسل، أوصل لمعلومات. بس كل ما كنت قرّب من شي، كان في جدار... كأنو حدا متعمّد يخبي، بس مو لأنه خايف... بل لأنه كبير."

سكتٌ.

نظرتُ إلى الصفحة الأخيرة في العقد. كان فيها توقيع كرم بخط يده... واضح ، ثابت، كأنه فخور.

ثم، بجانبه، توقيع آخر... أول حرفين فقط: M.S.

أغلقت الملف.

ثم قلت:

"وصلتوني لهون... بشكر ربّي إنو عندي هيك أخ وأخت. بس من هون ورايح... خلّوني واجههم أنا. لأنو هالمرة، ما عاد فيني كون بس رقم... لازم كون الشخص يلي بيرد."

أحمد حاول يقاطعني، لكني رفعت إيدي:

"ما رح أتسرّع، بس ما رح أهرب كمان. أنا عرفت الطريق... ولازم أمشيه، حتى لو وحدي."

الجزء الخامس: الباب الآخر

في تلك الليلة، لم أستطع النوم.

كنت أتمشى في الغرفة، ذهابًا وإيابًا، أفتح النوافذ وأغلقها، أراجع العقد، أفتح الصور، أكتب في الدفتر ثم أمزق الورق.

كل ما عرفته سابقًا لم يعد يكفي. كل ما خشيت مواجهته، أصبح واقعًا.

أنا لست مجرد شخص مصاب. أنا حالة نادرة. أنا ملف. أنا "العينة رقم 23".

لكن... أنا أيضًا شخص يعرف الحقيقة الآن. وأرفض أن أُستخدم كوسيلة لأي أحد.

فتحت الحاسوب. أنشأت بريدًا إلكترونيًا وهميًا باسم جديد:

eyad.untraceable23@encryptedmail.org

وكتبت رسالة قصيرة إلى عنوان كان ظاهرًا في جزء من ملف كرم:
backroom.protocols@protonmail.com

"أنتم صنعتم نسخة مني...

لكن أنا رح كون الأصل يلي بيواجهكم.

لن أهرب بعد اليوم.

وسأدخل من الباب الأمامي، إلى غرفتكم الخلفية."

أرسلت الرسالة.

ثوانٍ قليلة، ثم ظهر إشعار تلقائي:

"استلام مؤكد.

الغرفة الخلفية - مفتوحة.

نراك قريبًا."

ارتجف شيء داخلي... لكني لم أبعد نظري عن الشاشة.

أغلقت الحاسوب، وسحبت دفتر الوجوه.

كتبت في الصفحة الأخيرة:

"ما عدت أخاف من كابيغراس...

صار هو لازم يخاف مني.

إذا كانت الغرفة خلفية...

فرح أدخلها، وأطفي الضوء من الداخل."

ثم وضعت القلم.

نظرت في المرآة.

وهمست:

"هالمرة... أنا الي بلشت اللعبة."

الفصل العاشر: الغرفة المفتوحة

الجزء الأول: الرسالة الثانية

استيقظتُ عند الرابعة فجرًا.

لم يكن هناك صوت… لكنّ شيئًا داخلي أيقظني. إحساس لم أعرف كيف أترجمه، سوى أنه يشبه اقتراب شيء مهم، مخيف، ولا يمكن تجنّبه.

قمتُ من السرير، فتحت الحاسوب المحمول.

ظهرت أيقونة تنبيه: 1 رسالة واردة – غير معروفة.

فتحت البريد.

العنوان: backroom.protocols@protonmail.com

الموضوع: "خطوة إلى الداخل"

المحتوى:

"في 17 أيار، كنت تنظر في وجه والدتك وتشك أنها استبُدلت. لماذا لم تصرخ ؟ لماذا لم تهرب؟ هل كنت تحاول التصديق… أم كنت تخاف من أن تكون محقًا؟ هذه الأسئلة… لا تجيب عنها هنا. بل في الجلسة القادمة.

الغرفة الخلفية – المرحلة الأولى مفتوحة. خلال 24 ساعة، سيتم إرسال الإحداثيات.

Y.R.12"

وقفتُ عن الكرسي. شعرت ببرودة في أطرافي.

ما كتبه هذا الشخص... ليس مجرّد تحليل نفسي. بل تسجيل... تسجيل حرفي لواحدة من أعمق لحظات انهياري، في بداية المرض.

ذلك اليوم، حين نظرتُ إلى والدتي، ولم أتعرف على دفء عينيها.

ذلك اليوم، حين بدأت أقول لنفسي:

"هي مو أمي... في حدا عم يقلدها."

تساءلت: كيف عرفوا؟ هل كانوا يراقبونني حتى في بيتي؟ أم أن أحدهم... كان أقرب مما أتصور؟

نهضتُ من الكرسي.

دخلت الحمّام، غسلت وجهي، ونظرت في المرآة.

لا صدع. لا انكسار. أنا هنا.

لكن خلف عيني، في عمق الذاكرة، كانت تلك الجملة تتكرر:

"لماذا لم تصرخ؟"

لأنني كنت خائفًا من أن أكون على حق.

لأن كابيغراس... ما بيخليك ترفض الكذبة، بل بيخليك تخاف من الحقيقة.

أغلقت المرآة.

ومعها، بدأت أستعد... لأدخل الغرفة المفتوحة.

الجزء الثاني: الدخول

مرّ اليوم التالي ببطء مريب.

كنت أتحرك كمن ينتظر شيئًا لا يعرف شكله. أراقب هاتفي كل ساعة، أعيد تحميل البريد، أنظر إلى الساعة، ثم أعود للجلوس بصمت.

عند السابعة مساءً، وصلت الرسالة.

بلا عنوان، بلا توقيع. لكن المحتوى واضح:

"الساعة 10:45 مساءً. البناء المهجور – الطابق السفلي – الباب رقم (12). الكلمة المفتاحية: ظلك أقرب."

قرأت الجملة الأخيرة مرارًا: "ظلك أقرب."

فكرت... هل يقصدون أن ظلي صار أقرب مني؟ أم أنني أنا... صرت أقترب من ظلي؟

في العاشرة والنصف تمامًا، كنت أمام البناء المهجور. شارع قديم شبه معتم، نوافذ مكسورة، جدران متشققة، وروائح رطوبة وخشب متعفن.

دخلت بهدوء. الخطوات تتردّد في الفراغ.

نزلت إلى الطابق السفلي، كما كُتب.

باب رمادي يحمل الرقم (12). لا شيء آخر.

وضعت يدي على المقبض.

همست: "ظلّي أقرب."

فُتح الباب تلقائيًا.

دخلت.

الغرفة كانت بيضاء تمامًا. جدران ناعمة، ضوء باهت يأتي من السقف، بلا مصدر ظاهر. في المنتصف، طاولة زجاجية، وعليها جهاز صغير.

وفوقه شاشة.

لحظة دخولي... أُضيئت الشاشة. وظهر وجه.

رجل خمسيني، أصلع الرأس، نظرة جامدة، صوت ناعم مخيف.

قال: "أهلًا بالعينة رقم 23. أو ربما... الأسبق.

أهلا ً بك في الغرفة الخلفية."

لم أتكلم.

تابع: "لا تخف... لست سجينًا. لكنك هنا لأنك اخترت أن تعرف. ونحن نفتح الأ
بواب فقط لمن يدقّها بإصرار."

قلت بهدوء: "شو بتريدوا مني؟"

قال: "أن ترى. أن تتذكر. وأن تفهم... لماذا لم تصرخ."

الجزء الثالث: كشف الصدمة

تقدّمت خطوة نحو الطاولة. الشاشة بقيت تلمع بنور بارد، والوجه خلفها يبتسم دون حرارة.

قال الرجل: "ما سنعرضه الآن ليس محاولة لتهديدك... بل لتذكيرك.

ستشاهد. ثم تقرر من تكون."

ضغط على زر لم أره.

وانطفأ كل شيء.

ثم بدأت الصور تظهر، واحدة تلو الأخرى، على جدار الغرفة الأبيض.

مشاهد بلا صوت.

صورة لي بعمر التاسعة... أجلس في زاوية الغرفة، أراقب والديّ يتشاجران.

ثم صورة من حادث سيارة.

ليان. الدم. يدي على وجهها. الصراخ الداخلي.

ثم صورة من ذلك اليوم... عندما نظرت إلى والدتي في المطبخ، وشعرت أن هناك من يسكن ملامحها.

المشهد الأخير؟ كاميرا خفية في غرفتي. أنا، جالس، أفتح دفتر الوجوه للمرة الأولى.

كانوا يرون كل شيء. منذ البداية.

أبعدت بصري.

قال الصوت: "نحن لم نصنع مرضك. لكننا لاحظناه. وراقبناه. ثم قررنا أن نختبر قدرته على التشكل."

قلت بمرارة: "أنتم حولتوه لسلاح... ضدي."

قال: "بل ضد خوفك. أنت الذي كنت تهرب. نحن فقط... قدّمنا لك المرايا."

مشهد جديد ظهر.

ليان، تضحك. ثم مشهد الحادث من زاوية لم أعرف أنها صُوّرت.

كان هناك شخص يقف بعيدًا... يراقب.

تجمّدت.

قلت: "هاد الحادث... كنتوا عم تراقبونا؟"

قال الرجل: "كل التجارب تبدأ بلحظة صدمة. ونحن فقط... كنا بانتظارها."

أغلقت الشاشة. لم أعد أحتمل.

كل ما عشته لم يكن فقط سلسلة من الأحداث العشوائية. كان سيناريو... مراقب، مكتوب، ومدفوع الثمن.

لكنني أنا من قرر البقاء حيًّا. أنا من كتب على دفتره:

"ما رح كون رقم."

الجزء الرابع: رهف تظهر

ما إن خمدت الصور على الجدار، حتى عاد الضوء الأزرق للشاشة. لكن هذه المرة... لم يظهر الرجل. بل وجه آخر.

رهف.

كانت عيناها ثابتتين، نظرتها مباشرة. بدت أكثر شحوبًا، أقل عدائية... وكأنّها ليست كما عهدتها.

قالت بصوت بارد: "إياد... إذا وصلتك هالمادة، معناها فتت لجوا. وإذا فتت... ما في رجعة."

تقدمت نحو الشاشة، وقلت: "شو عم تعملي هون؟ أنتي معهم؟"

لم تجب مباشرة. بل قالت: "أنا كنت أداة، بس مو من زمان. أنا اخترت... بعدين عرفت."

قلت: "عرفتي إنك عم تدمّري واحد... كرمال تنتقمي لليان؟"

أجابت: "كنت مفكرة إنك السبب. بس لما بلشت شوف وراقهم، لما شفت كيف عم يستخدموك... فهمت. اللي صار مع ليان، يمكن ما كان صدفة. يمكن نحنا التنين... كنا جزء من شي أكبر."

ظهر خلفها وجه الرجل من جديد، مقطوعًا، غير واضح. ثم انقطعت الصورة.

ظهرت على الشاشة رسالة نصية:

"الصوت ليس ملك أحد. من يتكلم من خلف الستار... لا يُثق به دائمًا."

ثم انطفأت الشاشة.

وأمام الطاولة، ظهرت ورقة مطبوعة بصمت، خرجت من فتحة صغيرة:

"مو كل غرفة فيها باب... بس كل ظل، في وراه ضوّ."

عرفت أن الرسالة منها.

رهف... ما عادت عدوة. لكنها أيضًا... ليست آمنة. هي الآن شبيهي. ناجٍ من التجربة. وشاهدٌ آخر على وجه الغرفة المخفي.

الجزء الخامس: الباب الآخر

خرجت من الغرفة البيضاء بنفس الخطوات التي دخلت بها. بلا ضوء إضافي، بلا كلمة وداع. لكن كل شيء داخلي… لم يعد كما كان.

كنت أحمل في قلبي الآن يقينًا مرًا:

"ما كان شيء من حياتي عادي."

رجعت إلى المنزل بعد منتصف الليل. المي قد تركت ضوء الصالة مشتعلا ً. أحمد لم يكن في البيت. كل شيء هادئ… أكثر مما ينبغي.

دخلت غرفتي، أغلقت الباب، ووضعت الورقة التي كتبتها رهف بجانب دفتر الوجوه.

ثم جلست.

وكتبت:

"أنا دخلت الغرفة، لكني ما سكرت الباب. رح خليه مفتوح، ليفوت النور. واللي برّا… يشوف شو كان جوّا."

أطفأت الضوء.

لكن قبل أن أستلقي على السرير، سمعت صوت رنين ضعيف عند الباب.

نهضت، فتحت الباب ببطء. لم يكن أحد.

لكن على الأرض... طرد صغير.

فتحته. كان داخله ظرف بلا عنوان.

وفي داخله... صورة.

أنا.

نائم على سريري. نفس هذا السرير. نفس هذه الليلة. نفس الوضعية.

وعلى ظهر الصورة... سطر واحد مكتوب بخط حاد:

"عم نعدّك للمرحلة التانية."

شهقت بصوت مكتوم.

الأنفاس اختلطت، والظلال عادت تهمس. لكن الفرق هذه المرة؟

أنا كنت جاهز.

جاهز... لأن أفتح بابهم الثاني، قبْل أن يفتحوه لي.

الفصل الحادي عشر: علامة بين الظلال

الجزء الأول: صوت في الذاكرة

كنت مستلقيًا في غرفتي، عيني نصف مغمضتين، والضوء المنبعث من السقف يعكس شكل ظلي على الجدار.

لم أكن أفكر بشيء محدد. أو ربما، كنت أفكر بشيء لا أعرف كيف أسمّيه.

ثم... سمعته.

صوت خافت. ليس خارجيًا، ليس في الأذن، بل داخلي... كما لو أن هناك صوتًا آخر يسبق تفكيري، يتمتم بالكلمات قبل أن أفكر بها.

"رح يوصلك شي اليوم... من الماضي."

شهقت بخفة. جلست.

أمسكت بدفتر الوجوه، وكتبت بسرعة:

"في شي عم يفكر قبلي."

بعد ساعة، بينما كنت أراجع الرسائل القديمة، ظهرت واحدة جديدة.

مرسلة من عنوان مجهول: ashami.sender@darkmail.net

الموضوع: "بقيت صامت... بس كنت عم شوف"

المحتوى:

"إياد، إذا وصلت لهون، معناها أنت صرت جاهز. في شي لازم نحكي فيه. مو ملف، مو تقرير... شي بشري أكتر. مكتبة الأرشيف القديمة، الساعة 4 مساءً. وحدك."

وقّع الرسالة بحرفين: A.S.

نظرت إلى الاسم طويلًا.

لم أعرفه... لكن قلبي تحرّك. كأن الذاكرة تعرف ما لا أعرفه.

أغلقت الحاسوب.

وهمست لنفسي: "هاد الصوت... ما عاد بس جواتي. صار عم يجاوب عني."

الجزء الثاني: لقاء مع آدم

وصلت إلى مكتبة الأرشيف القديمة قبل الموعد بدقائق. المكان مهجور نسبيًا، رائحة الورق والغبار تعطيه طابعًا زمنيًا ثقيلًا، كأنك تمشي داخل سجلّ حيّ.

في الزاوية الخلفية، كان رجل يجلس وحده، يضع قبعة رمادية ونظارات بسيطة. رفع نظره نحوي فور دخولي، كأنه كان يعرف توقيت قدومي بالدقيقة.

اقتربت منه. قال: "إياد؟"

أومأت. جلست قبالته.

قال بهدوء: "آدم الشامي. كنت بشتغل بمجال الذاكرة السلوكية. وبتحديد أكتر… كنت من الناس اللي رفضوا يكملوا بمشروع الغرفة الخلفية."

نظرت إليه بصمت.

تابع: "بس ما في شي اسمه انسحاب فعلي… كلنا بقينا مربوطين، بطريقتنا. فيك تعتبرني نقطة بمنتصف السلسلة، لا معهم، ولا ضدهم. بس إذا في شي تعلمته… فهو إنو الكتمان ما بيمحي أثر."

أخرج من جيبه ورقة مطوية بعناية. فتحها أمامي.

كانت ورقة عليها رمز يشبه حلقة سوداء مفتوحة من جهة واحدة، وبجانبها حرفان: R.31

قال: "هاد الرمز ما كان لازم ينفتح. هو بيمثّل شي بعد الغرفة الخلفية. شي... كانوا يقولوا إنو بس للعيّنات يلي نجت. يعني الناس يلي وعيها تجاوز حدود الوهم... بس ما رجع طبيعي كليًا."

قلت: "شو يعني؟"

قال: "يعني في مرحلة تانية. الغرفة ٣١ مو مكان... هي بروتوكول جديد. نقطة إعادة ضبط، أو تكرار وعي، أو شيء ما حدا مننا فهمو تمامًا. بس حسب الملفات القديمة... كنت أنت أحد المؤهلين."

تجمّدت.

آدم أضاف: "وهاد الشي... ما بيرتبط بك لوحدك. بيرتبط بشخص تاني... بشخص كان لازم يكون بدالك. بس انت اللي كملت."

نظرت في عينيه. ثم سألته: "شو كان اسمه؟"

قال: "مو مهم الاسم. المهم... إنو كان رقم 23/ب."

همست: "في إياد تاني؟"

آدم لم يبتسم، لم يرمش. فقط قال: "في نسخة... بس ما منعرف إذا كانت البداية، ولا النهاية."

الجزء الثالث: شك جديد

عدت إلى المنزل مشيًا، دون أن أشعر بطول الطريق. كان عقلي يُعيد جملة آدم مرارًا:

"في نسخة... بس ما منعرف إذا كانت البداية، ولا النهاية."

ما معنى أن أكون نسخة؟ هل أنا انعكاس؟ تكرار؟ خطأ في التجربة؟ أم أني الأصل... وتم تكراري؟

عند وصولي، وجدت أحمد في المطبخ. كان يحضّر شايًا، كعادته عندما يشعر أن شيئًا ثقيلًا يقترب.

قال دون أن ينظر إلي: "رجعت بكير؟"

قلت بهدوء: "التقيت بشخص. قال إنو كان من جوّا. من النظام يلي كنت ضحيته."

توقّف، وضع الكوب على الطاولة. نظر إليّ لأول مرة ببطء.

سألته: "شو بتعرف عن الغرفة رقم ٣١؟"

نظر إلى الأرض، ثم قال: "منين سمعت بهالرقم؟"

قلت: "من الشخص يلي قلتلي زمان إنو مات. بس طلع عايش... أكتر مننا."

دخلت مي، كانت تحمل بعض الأوراق. نظرت إليهما، ثم إليّ، وسألت: "صاير شي؟"

أحمد قال بسرعة: "إياد صار يعرف عن R.31."

مي تجمّدت. توقفت يدها، ونظرتها تغيّرت.

قلت: "عم تخبّوا شي؟"

قالت مي: "مو نخبي، بس كنا ننتظر الوقت يلي... تكون فيه جاهز تسمع، بدون ما تنهار."

نظرت إليهما، ثم كتبت في دفتري:

"الخوف مو بس من اللي ما بعرفه... من اللي ما عم يقولو لي إياه."

أغلقت الدفتر. وغادرت الصالة، تاركًا سؤالًا يتردد في ظهري:

مين كان إياد الأول... وأنا شو صرت؟

الجزء الرابع: الملف الناقص

في الليل، لم أستطع الجلوس. كنت أتنقّل بين الغرف، كأنني أبحث عن شيء ضاع... أو ربما، شيء كنت أخشاه أن أجده.

تذكرت خزانة قديمة في غرفة مي، كانت دائمًا تقول إنها مليئة بالملفات القديمة من الجامعة والمحكمة.

انتظرت حتى غادرت مي مع زمن في زيارة قصيرة، ثم دخلت بهدوء.

الخزانة مغطاة بطبقة غبار رفيعة. فتحتها.

تكوّمت عشرات الملفات والظروف. رحت أفتّش دون هدف دقيق، فقط حدس.

ثم... عثرت عليه.

ظرف رمادي، لا اسم عليه، لكنه مغلق بشريط أحمر مائل. فتحته ببطء.

في داخله:

صورة قديمة لطفل في حوالي السابعة.

تقرير نفسي مطبوع.

ورقة مكتوبة بخط يد دقيق.

الصورة... صدمتني.

الطفل يشبهني تمامًا. لكن ليس أنا. ليس أي صورة أتذكرها من طفولتي.

في التقرير، كان مكتوبًا في الأعلى: العَيّنة: 23/ب

في الأسفل:

"لوحظ أن الاستجابة الأولى كانت أسرع من المتوقّع، لكن العيّنة انسحبت فجأة بعد تعرّضها لحدث صادم. الملف أُغلق... أو هكذا ظنّ الجميع."

شعرت أن الأرض تدور. هل هذا الطفل هو النسخة الأولى؟ هل تم استبداله بي؟

رفعت الورقة المكتوبة يدويًا. كانت قصيرة، بخط متناسق:

"إذا قرأت هذه الورقة... فاعلم أنك مو أنت الوحيد. نحن كنّا نركض بنفس المتاهة... بس بوقت مختلف. احذر المرحلة الثانية... لأنها لا تعترف بالأصل من الصورة."

وقفت في مكاني مشدوهًا. ثم كتبت في دفتر الوجوه:

"العيّنة 23/ب... موجودة. وأنا... نسخته؟ أم نهايته؟"

الجزء الخامس: اتصال منتصف الليل

كانت الساعة تقترب من الواحدة بعد منتصف الليل، حين انطفأت الأنوار فجأة في غرفتي. لم يكن هناك انقطاع في الكهرباء... فقط غرفتي.

الهاتف على الطاولة ارتجف.

اتصال من رقم غير معروف. أمسكت الهاتف بتردد، ورفعت السماعة.

لم يكن هناك صوت في البداية. ثم، بصوت مشوّش، ناعم، غير واضح الجنس، قال المتحدث:

"إياد... كنت عم تكتب؟"

تجمّدت.

"لأنو يلي بيكتب، بيصير هو الورقة... وإنت كتبت كتير."

سألت: "مين إنت؟"

الصوت لم يرد مباشرة، ثم قال:

"إذا بلشت تشوف علامات... لا تتجاهلها. لأنه في شي جاي بعدك. أنت كنت البداية... مو النهاية."

ثم انقطع الخط.

نظرت إلى الشاشة... لم يُسجّل الرقم، لم يظهر أثر للمكالمة.

فتحت دفتر الوجوه.

كتبت:

"أنا كنت الظل... بس هلأ، في حدا عم يجي وراي."

ثم أغلقت الدفتر، وجلست في الظلام.

وفي داخلي، كان سؤال واحد يتكرّر:

إذا أنا الظل... فمين الأصل؟

الفصل الثاني عشر: من داخل الرأس

الجزء الأول: تكرار الحدث

في الصباح، دخلت مي غرفتي تحمل كوبًا من القهوة. قالت بابتسامتها المعتادة: "شوبتلك الغرفة شوي، افتح الشباك."

أومأت لها بصمت، شربت رشفة من الكوب.

مرّت ساعة. ربما أقل. ربما أكثر.

ثم... دخلت مي من جديد. نفس الابتسامة. نفس الكوب. نفس الجملة: "شوبتلك الغرفة شوي، افتح الشباك."

تجمدت. نظرت إليها دون أن أرد.

قالت: "إياد؟ فيك شي؟"

قلت ببطء: "قلتيلي هالجملة من شوي."

رفعت حاجبها: "هلأ؟ أول مرة بفوت لعندك اليوم."

لم أجادل. لكن كتبت في دفتري:

"الزمن عم يكرر حاله؟ ولا رأسي هو اللي عم يعيد المشاهد؟"

في المساء، جلسنا على الطاولة. أحمد كان يتحدث عن شيء ما، عن شغله، عن شي ممل... لا أذكر.

ثم، فجأة، أعاد جملة قالها من عشر دقائق. نفس الكلمة. نفس النبرة. نفس اليد وهي ترفع الكأس.

نظرت إليه. قلت: "هالجملة قلتها قبل شوي."

قال: "شو؟ أنا؟ لا... يمكن توهمت."

لم أناقشه. لكنني تأكدت: أنا مو عم أتخيل. في شي... عم يعيد نفسه.

أو أنا... عم أعيش تكرارًا بتفاصيله، ما بين الماضي، واللحظة.

كأن دماغي... مو إلي لحالي.

الجزء الثاني: المراقبة المزدوجة

في الليل، جلست أمام حاسوبي. حاولت الانشغال بأي شيء، فلم أستطع. كل شيء بدا مكررًا، حتى الصفحات، حتى موقعي المعتاد بدا مألوفًا لدرجة مربكة.

ثم... بدأت تظهر إشعارات.

رسائل بريدية قصيرة. كل إشعار يظهر لمدة ثانية، ثم يختفي.

لكن حين فتحت صندوق البريد... لم أجد شيئًا.

بحثت في الرسائل غير المرغوبة، الأرشيف، حتى البريد المؤقت. لا شيء.

ثم ظهر إشعار جديد:

رسالة من: eyad.alt.23@securetrack.net

شهقت. قرأت العنوان مرارًا.

اسمي... لكن بحرف إضافي: alt. اختصار لكلمة "بديل"؟

فتحت الرسالة فورًا.

المحتوى كان غامضًا:

"إذا أنت بتقرأ هالرسالة... فمعناها صار وقت الانعكاس. لا تثق بالذاكرة. راقب الوقت. راقب كلامك. لأنك يمكن تكون... الطرف التاني."

حاولت الرد. لكن البريد اختفى فورًا من الواجهة.

عدت للصندوق الوارد... لا شيء. وكأن كل شيء لم يكن.

نظرت في انعكاسي على شاشة الحاسوب. كنت أرى وجهي... لكن شعرت للحظة أن عيوني تحرّكت قبلي.

همست: "هاد مو بس وهم... هاد صار شخص تاني."

الجزء الثالث: الرسالة التي كتبها ولم يكتبها

في اليوم التالي، استيقظت مبكرًا على غير العادة. كان رأسي خفيفًا، كأنني خرجت من حلم بلا صوت.

جلست أمام الحاسوب.

فتحت سطح المكتب. كانت هناك أيقونة جديدة. مجلد باسم: msg_self/23

فتحته. كان داخله ملف نصّي واحد فقط. اسمه: To_the_next.txt

فتحت الملف.

كانت الرسالة مكتوبة بصيغة "أنا".

"إلى من سيأخذ مكاني... لا تكرّر نفس الغلطة. الظل إذا طال، بيمحي الشكل. حاولت أبقى، بس كنت أضعف من اللحظة. إذا وصلتك هاي الكلمات، فإما أنت أنا... أو أنا صرت أنت."

تجمدت.

الكلمات... تشبه لغتي. لكنها ليست كلماتي. النبرة... فيها شيء مني، لكنها أكثر هدوءًا مما أكتب عادةً.

نظرت في خصائص الملف. التاريخ؟ الأمس الساعة 2:17 صباحًا.

كنت نائمًا في ذلك الوقت.

أو على الأقل، هذا ما كنت أظنه.

أمسكت بدفتر الوجوه. كتبت:

"في شي عم يكتب بمكاني. أو أنا عم أكتب... بس ما عم أتذكر."

أغلقت الحاسوب. لكن ظلال الكلمات... بقيت مفتوحة في ذهني، كأنها تُقرأ من جهة لا أراها.

الجزء الرابع: لقاء يارا

لم أعد أحتمل أن أبقى وحدي. كأن الهواء من حولي صار أرقّ من اللازم، و الذاكرة أوسع من أن تُغلق.

تذكّرت "يارا الرفاعي". فتاة كنت قد التقيتها في جلسة دعم نفسي قصيرة قبل أشهر، ولم نتحدث كثيرًا... لكنها تركت أثرًا مختلفًا. كانت هادئة، تنظر طويلا ً دون أن تتكلم، كأنها تسمع صوتًا لا يسمعه أحد.

راسلتها، وردّت بسرعة: "إذا حسّيت إنك وصلت للمرحلة يلي فيها انت مو متأكد إنك إنت... تعال لعندي."

ذهبت.

كانت تسكن في بيت صغير قرب الحديقة الشرقية. استقبلتني بابتسامة غير مكتملة، لكنها صادقة. جلستُ.

قالت: "عيونك... متعبة، بس مو من السهر. متعبة لأنك شايف شي ما حدا عم يصدقك فيه."

قلت: "أنا ما عدت بعرف إذا يلي عم شوفه هو نفسه يلي عم يطلع من عيوني. أوقات بحس فيني شخص تاني عم يحكي مكاني، أو عم يفكر قبلي، أو عم يكتب... وأنا بس عم أراقب."

أومأت. قالت: "هاد الشعور… صار معي. بس الفرق إني قررت ما قاومه. لأنه أوقات، اللي جواتنا مو مرض… بل مرآة."

نظرت إليها باستغراب.

فتحت درجًا صغيرًا، وأخرجت منه دفترًا صغير الحجم، بجلد أسود وورق أصفر خفيف. أعطتني إياه.

كان عليه عنوان مكتوب بخطّ يد:

"لمن لا يتذكّر نفسه."

قالت: "ما رح قلك شو فيه… بس اقراه متى ما حسّيت إنك نسيت شكل صوتك."

همست: "صوتي؟"

قالت: "إي، لأنو أحيانًا، اللي بنفقده أول شي… مو هويتنا، بل نبرة إحساسنا فينا."

خرجتُ من عندها وأنا لا أحمل أجوبة. لكنني كنت أحمل شيئًا جديدًا: دفتر… قد يكون شاهدًا على ما لم أعد أقدر على تمييزه.

الجزء الخامس: فقدان اللحظة

استيقظتُ فجأة. لم يكن هناك من صوت أيقظني، ولا حلم مزعج. لكنني كنت في مكانٍ آخر.

جدران بيضاء. أرضية ناعمة. لا نافذة. لا ساعة. لا صوت.

جلست على الأرض. لم يكن هناك سرير، ولا باب واضح. فقط طاولة خشبية، وعليها ورقة.

سرتُ نحوها بخطى مترددة.

الورقة مكتوبة بخط يدي... أعرفه جيدًا. لكنني لم أكتبها. أو ربما... نسيت أنني كتبت.

"ما كان حلم... نحنا من جوّا الرأس. ما تسأل كيف جيت لهون. اسأل إذا بتقدر تطلع."

أمسكت الورقة، نظرت حولي. ثم أعدت النظر.

هناك كاميرا صغيرة في الزاوية. عين سوداء تراقب. أو على الأقل، كنت أظن أنها تراقب.

اقتربتُ منها، نظرت مباشرة إلى العدسة، وهمست: "إذا في وعي تاني جوّاتي... يمكن صار هو اللي سايقني."

وسمعتُ الصوت داخل رأسي، للمرة الأولى بوضوح:

"وأنت... ليش مفكر إنك بعدك السائق؟"

شهقت.

في اللحظة ذاتها، انفتح باب لم أكن أراه. ضوء باهت من الخارج... ونداء لم أتبينه.

لكنني كنت أعلم... أن اللحظة انكسرت. وأن ما بعدها... لن يُعاد.

الفصل الثالث عشر: النسخة الأخرى

الجزء الأول: صحوة مشروخة

استيقظتُ فجأة، وكأن أحدهم أيقظني دون أن يلمسني.

نظرت إلى السقف. كان كل شيء في مكانه... السقف الأبيض، ضوء الشمس المتسلل من الشباك، صوت المروحة البطيء. لكنّ هناك شيئًا لا يتّسق.

جلست على السرير. لم أشعر أنني في جسدي تمامًا... كأنني عدت إليه بعد غياب.

نظرت إلى الطاولة. دفتر الوجوه في مكانه. لكن بجانبه، وُضع دفتر آخر...

"لمن لا يتذكر نفسه."

فتحت الدفتر. وجدت أول صفحة فارغة. لكن الثانية؟

كانت تحتوي على جملة مكتوبة بخط يدي، لم أكتبها:

"أنا كتبت... بس مو بهالقلم."

أمسكت القلم، حدّقت فيه. نفس القلم الذي استخدمته بالأمس. لكن الحبر؟ مختلف قليلًا.

ارتديت ملابسي بسرعة. خرجت من الغرفة، متوجّهًا إلى الصالة.

كان سليم يجلس هناك. هادئًا أكثر من المعتاد، يحرّك ملعقة في كوب الشاي ببطء.

نظر إليّ، ثم قال بابتسامة خفيفة: "قمت؟ كنت مفكّر إنك رح تضل نايم أكتر... متل العادة."

قلت: "أي عادة؟"

ضحك، ثم قال: "إياد، قلتلي مبارح إنك تعبان من اللقاء. بس ما حكيتلي كيف شفت زياد؟"

تجمّدت.

"زياد؟ مين؟"

سليم نظر إليّ بدهشة حقيقية. ثم قال: "إنت ما التقيت فيه؟ قلتلي شفتو. بيشبهك... تقريبًا نسخة عنك، بس بعينين باردة. أنا شفتو قبلك بيوم، وقلتلي شفتو لحالك بعدي."

سكتُ. أنا لم ألتقِ بأحد. لكني... بدأت أشكّ.

هل التقيت... ونسيت؟ أم هناك إياد آخر... بدأ يتكلم عني؟

الجزء الثاني: لقاء مع سليم – وانكسار الثقة

وقفت أمام سليم، شعرت للحظة أنني أراه للمرة الأولى.

قلت: "أنا قلتلك شفت حدا اسمو زياد؟"

قال: "إي، وهي مو أول مرة. قلتلي شفتو، بس ما كنت مرتاح له. كأنك شفت نسخة منك... بس ناقصة شي، أو فيها شي زايد."

جلست بصمت. بدأت أشك. بنفسي. بسليم. بكل ما قيل.

قلت: "وشو قالك هاد زياد؟"

سليم شرب من الكوب، ثم تمعّن بنظراته: "قاللي إنو كان بعلاج نفسي تجريبي. وإنو تم محو جزء من ذكرياته، واستبدالها. قال... إنو فايت بمشروع اسمو إعادة ضبط."

شهقت بهدوء. "قالك عن الغرفة؟"

هزّ سليم رأسه: "ما سمّى شي. بس كان واضح إنو بيعرف. ولما سألتو إذا بيعرفك... قال جملة وحدة:

'هو الأصل... بس مو الضروري يضل هو.'"

شعرت أن جسدي ارتجف. قمت عن الكرسي.

قلت: "وين شفتو؟"

سليم قال: "بالحديقة القديمة، عند المقعد يلي كنت تقعد فيه أيام الجلسات. بس لا تدور عليه هلق. اختفى قبل ما لحق أسألو أكتر."

نظرت إليه طويلًا، ثم كتبت في دفتري:

"النسخة مو وهم. النسخة صارت تمشي... وتحكي... وتحط مكاني كلام."

الجزء الثالث: رحلة البحث

لم أنتظر كثيرًا. ما إن غادر سليم حتى ارتديت معطفي وخرجت.

الحديقة القديمة. نفس المكان الذي جلست فيه كثيرًا أيام الجلسات العلاجية، ونفس المقعد الخشبي الذي اعتدت أن أدوّن عليه أفكاري... بصمت.

وصلت هناك. كان المكان شبه خالٍ. شجرة كبيرة تتوسط الساحة، أوراقها تتساقط ببطء. الهواء بارد، لكن أنفاسي كانت ساخنة كأنني أجري.

جلست على المقعد، نظرت حولي.

ثم... رأيته.

شخص يقف على بُعد عشرين مترًا. يرتدي معطفًا أسود. لا أستطيع رؤية وجهه جيدًا، لكن ملامحه... مألوفة.

حاولت أن أقترب. خطوت خطوة. ثم ثانية.

في الثالثة... اختفى.

لا أثر. كأن الهواء ابتلعه.

ركضت نحو المكان. لم أجد شيئًا، سوى ورقة صغيرة على الأرض، مطويّة بعناية. فتحتها.

كانت صورة.

أنا. واقف أمام مرآة. أبتسم. نفس الابتسامة... لكن مختلفة. في عيني شيء لا يشبهني.

قلبت الصورة. كان مكتوب في الخلف:

"إياد – 10 تشرين الأول 2013."

قبل الحادث. قبل الغرفة. قبل كل شيء.

لكنني لا أذكر أن هذه الصورة التُقطت لي أبدًا.

همست: "أنا... كنت هون؟"

ثم سمعت الصوت من خلفي.

صوت مألوف، لكنه لا يشبه صوتي تمامًا:

"مو غلطتك... بس أنت سبب تكراري."

الجزء الرابع: الملف الصوتي

عدت إلى المنزل دون أن أتحدث مع أحد. كأن لساني فقد قدرته على التعبير، أو كأن عقلي صار يُترجم ما يحدث بلغة أخرى، لا تُقال.

في الليل، بينما كنت أراجع الصور القديمة على الهاتف، ظهر إشعار جديد.

📩 تم استلام ملف صوتي من:eyad.alt.23

شهقت. فتحت الإشعار.

كان الملف بعنوان: "ذكريات غير موقّعة"

ضغطت تشغيل.

...صمت. ثم جاء الصوت.

صوتي. لكنه ليس أنا. بدا أهدأ، أبرد، وأكثر سيطرة.

قال: "إذا كنت عم تسمعني... معناها انت بلّشت تتداخل. أنا كنت مثلك، شفت الحادث، شفت رهف، شفت كل شي. بس أنا ما نجيت. أنا اندمجت مع شي تاني... مش أنا، بس بيحكي بلساني. وأنا سجلت هالرسالة، لحتى تفهم، لما يصير فيك متلي."

ثم توقف. صوت تنفّس طويل، تلاه جملة أخيرة:

"أنا مو إياد يلي كنتو تعرفوه... أنا يلي خلقوه كرمال يستمر."

انتهى التسجيل.

حدقت بالشاشة. يدي ترتجف.

حاولت الاتصال بأحمد. لم يُجب.

أعدت تشغيل الملف. سمعته مرة ثانية. ثم مرة ثالثة.

وفي كل مرة... شعرت أن الصوت يتقن تمثيلي أكثر مما أفعل.

الجزء الخامس: الانهيار الهادئ

جلست في الزاوية. لم أعد أقوى على مواجهة أي شيء.

كنت أراقب عقلي من الخارج، كأنني أشاهد فيلمًا داخل نفسي، لا أملك فيه دورًا.

فتحت دفتر الوجوه. وكتبت:

“أنا ما عدت بعرف شو هو الأصل... ولا بعرف إذا أنا المفروض آخذ مكاني، أو أرجعه.”

أغلقت الدفتر ببطء. نهضت، مشيت نحو المطبخ. أعددت كأس ماء... ثم تركته على الطاولة.

أردت أن أقول شيئًا، أن أصرخ، أن أكتب، أن أتكلم... لكن الكلمات خانتني.

سمعت صوت طرق على الباب. لم أتحرك.

ثم، بصوت مي الهادئ: "إياد... في حدا بدو يقابلك. قال... إنو بيخصّك."

لم أجب.

فتحت الباب.

في الخارج، وقف شاب.

شعره أقصر قليلًا. صوته أعمق. نظراته... تشبهني.

قال: "أنا... زياد."

ابتسم ابتسامة خفيفة. ثم أردف: "ونحنا لازم نحكي... قبل ما نتكرّر مرة تانية."

الفصل الرابع عشر: غرفة بلا أبواب

الجزء الأول: المواجهة

جلسنا وجهًا لوجه.

أنا... وهو. إياد... وزياد.

الغرفة كانت مظلمة، إلا من ضوء أصفر خافت ينساب من زاوية السقف. لا نوافذ، لا ساعة، لا صوت سوى أنفاسنا.

زياد لم يبدُ متوترًا. كان ينظر إليّ بهدوء، كأنه يحفظني من الداخل.

قلت: "شو بدك مني؟"

رد بصوته العميق: "ولا شي. بس إنت اللي بدك تعرف شو صاير... وأنا مفتاح الجواب."

نظرت في عينيه. فيهما شيء غريب... مألوف ومقلق بنفس الوقت.

قلت: "إنت أنا؟"

ابتسم بخفة: "لا. أنا مو إنت. أنا النسخة من اللي ما كنت قادر تصير. أنا القرار يلي رفضته. أنا الوعي يلي نضج قبلك... بس انولد بعدك."

صمت.

قال: "إنت خفت. تراجعت. تعلقت بصورة عن نفسك... وأنا قطعتها."

قلت: "إذا إنت مو أنا... ليش كل شي فيك بيشبهني؟"

قال: "لأنك لساتك عم تشوفني من مرايتك. بس إذا بتفتح عيونك صح... رح تعرف إني مو شبهي، بل ظلك يلي مشي لحالو."

ارتجفت.

قال: "أنا ما جايي حاربك. بس في شي لازم يصير. في اختبار... وإنت لحالك رح تمر فيه."

قلت: "أي اختبار؟"

نهض من مكانه. نظر لي مطوّلًا، ثم قال:

"هلق... رح تعرف. بس من اللحظة يلي بعد هاللقاء... ما رح يكون فيك تقول إنك بس ضحية."

ثم سار نحو الباب. لم أره يفتحه. لكنه اختفى... كأنه انساب من بين الجدران.

وتركني هناك، في الغرفة التي بدأت تضيق... رغم أن حجمها لم يتغيّر.

الجزء الثاني: الانهيار والفصل

بقيت جالسًا مكان زياد. الغرفة لم تتغيّر، لكنها أصبحت أضيق. كأن الجدران تنحني نحوي... ببطء، بإصرار.

الضوء الأصفر بدأ يخفت. ثم ظهر ضوء أبيض أعلى السقف، فُتح فجأة... كما لو كان عينًا تُراقبني.

همست: "شو بدكن؟"

لم يردّ أحد.

لكنني سمعت صوتي... صوت داخلي، أعمق مما اعتدت:

"هاد وقتك، إياد. لتعرف... إذا أنت كنت الأصل، ولا التجربة."

فجأة، صوت خافت من أحد الجدران. ثم خرج منه ضوء أحمر... يُشبه حزمة ليزر دقيقة.

شعرت بوخز خفيف في رقبتي. ثم... كل شيء انطفأ.

أظلمت الغرفة، وأظلم كل شيء في رأسي.

استيقظت. لكن ليس على السرير، ولا على الأرض التي أعرفها.

كنت ممددًا على سطح أبيض ناعم. جدران الغرفة بيضاء بالكامل. لا باب. لا نافذة. لا طاولة. لا مرآة.

نهضت ببطء. شعرت أن الهواء أثقل. وكأن الغرفة... لا تسمح لي بالتفكير إلا في شيء واحد:

"كيف خرجت من المكان... إلى اللا-مكان؟"

صرخت: "في حدا؟!"

صدى الصوت عاد... ببطء، وبصوتي. لكن بصيغة مختلفة:

"مو في حدا... فيك إنت."

اقتربت من الجدار. ضربته. لم يتحرّك. لم يهتز.

لكن على أحد الجدران، بدأت تظهر خطوط... كأنها نبضات قلب تُرسم على شاشة. ثم عبارة واحدة كتبت عليها ببطء:

"الاختبار بلّش."

وتحتها مباشرة:

"هل تظن نفسك حقيقيًا بما يكفي... حتى تُمحى؟"

الجزء الثالث: الإسقاط البصري

لم أملك وقتًا للتفكير، إذ تحوّل أحد جدران الغرفة البيضاء إلى شاشة شفافة.

بدأت تُعرض عليها مشاهد... كأنها مقتطعة من ذاكرتي، أو من ذاكرة أحدٍ يعرفني عن كثب.

المشهد الأول: أمي تبكي في المطبخ، تهمس لأختي مي:

"ما كان لازم نخليه يروح لهنيك... هنيك مو علاج، هنيك تجربة."

المشهد الثاني: أحمد يجلس في مكتب صغير، يتحدث مع رجل غريب:

"إذا عرف إنو النسخة صارت تتصرّف لحالها، رح ينهار. بس إذا ما عرف... رح يصير هو النسخة."

المشهد الثالث: ليان.

كانت تضحك في السيارة، أذكر ذلك. لكن هذه المرة، الصورة كاملة... نرى الحادث. نرى إياد في المقعد المجاور، يبكي بعد الصدمة. لكن في لقطة خاطفة، الكاميرا تُركز على عينيه.

لم تكن عيناي.

المشهد الرابع: غرفة عزل بيضاء، مثل هذه. شخص يجلس في الزاوية، يكتب على الجدار بكلمات متكررة:

"أنا أنا أنا أنا..." ثم يتوقف، ويكتب جملة أخيرة: "أنا... كنت أكثر من نسخة."

ارتجفت. تراجعت.

لكن الشاشة لم تنطفئ. بل تحوّلت إلى مرآة.

فيها... رأيتني. لكن خلفي، داخل انعكاسي، كان يقف زياد. لا يبتسم. لا يتحرك. فقط يراقبني.

وظهر سطر فوق صورتي:

"ما كنت شايفه... كنت عم تشوف حالك منه."

الجزء الرابع: المواجهة مع خالد زمّام

بينما كنت أراقب صورتي على الجدار، انطفأت المرآة فجأة.

ثم، ببطء، انفتح جزء من الحائط على شكل باب صغير. خرج منه صوت، عميق، واثق:

"إياد... كنت ناطر هاللحظة."

رجل خمسيني، أنيق المظهر، دخل بخطى واثقة. يرتدي بدلة رمادية ونظارات داكنة.

قال بهدوء: "اسمي خالد زمّام. مشرف سابق ضمن برنامج الإدراك المستقل."

تقدّم وجلس على كرسي ظهر فجأة من الجدار. أشار لي أن أجلس على الكرسي المقابل.

فعلت، دون أن أعلم لماذا.

قال: "بدك الحقيقة؟ إنت ما كنت المريض. إنت كنت العيّنة المراقِبة... بس نسيت."

نظرت إليه بدهشة: "شو يعني؟"

قال: "يعني كنا بدنا نراقب أثر الواقع المعدّل على الإدراك السليم. جربنا نخلي شخص طبيعي يتعرض لحالة وهم محددة... نشوف كيف بيقاومها، أو كيف بيستسلم. أنت... كنت التجربة الذهبية. بس... صار شي."

سألته: "شو اللي صار؟"

قال: "زياد. ما كان لازم يستقل. بس انت خلّيته. بسبب شعورك، بسبب خوفك ، بسبب ذاكرتك المشروخة... قدر يطلع من داخلك."

تنفست ببطء.

تابع خالد: "بعد فشل الغرفة الخلفية... أنشأنا مشروع جديد. مشروع الغرف المفتوحة. أو تحديدًا... الغرفة ٣١."

نظرت إليه بصمت. قال: "هنيك... ما فيك تختبئ من نفسك. ما فيك تلوم النسخة. فيك بس تختار: تكمّل... أو تنمحي."

همست: "وليش أنا؟"

قال: "لأنك الوحيد... يلي صدّق الكذبة قبل ما تنكتب."

ثم قام عن الكرسي. وقال وهو يختفي عبر الباب: "التوقيع رح يوصلك. و الزمن... مو دايم يضل يكرر حاله."

الجزء الخامس: الخروج... أو لا خروج

بعد أن خرج خالد زمّام، عادت الغرفة إلى صمتها الأبيض.

لكن لم يعد فيها ذلك الشعور السابق بالخواء. الآن، كان فيها قرار.

على الأرض، ظهر صندوق أسود صغير. فتحتُه. كان فيه ورقتان:

الأولى: عقد يحمل عنوان "استمرار المرحلة – غرفة 31"

الثانية: نموذج للتوقيع... عليه اسمي.

نظرت إلى الورقتين طويلًا.

إذا وقّعت... أكون اخترت أن أستمر. أن أتحوّل من "المُختبَر" إلى "المتقبِّل".

وإذا لم أوقّع... سيتم مسح ذاكرتي، إعادة تهيئتي، أو ببساطة... اختفائي.

جلست على الأرض، أغمضت عينيّ.

سمعت صوتي الداخلي يقول:

"النسخة مو قرارك... الوعي هو القرار."

فتحت عينيّ.

نظرت إلى الجدار المقابل. بدأ يضيء بسطر جديد:

"الوعي الحقيقي... لا يعود كما كان."

نظرت إلى الكاميرا المخفية في الزاوية.

ابتسمت.

لكن لم أوقّع. ولم أمزّق الورقة.

فقط... وضعت القلم على الأرض.

وقلت: "للمرة الأولى... رح خَلّي الخيار يتأخر شوي."

وبقيت هناك. في الغرفة التي لا أبواب لها... إلا من الداخل.

الفصل الخامس عشر: انعكاس أخير

الجزء الأول: العودة

فتحت عينيّ.

الضوء كان مألوفًا... لكنه أقوى قليلًا. الغرفة هي غرفتي. كل شيء في مكانه. المكتب، الكرسي، نافذتي القديمة، حتى الكتاب المفتوح بجانب السرير.

جلست ببطء. لم أشعر بألم، ولا بوخز. فقط فراغ داخلي... يشبه السكون بعد العاصفة.

سمعت صوتًا يأتي من الخارج. أحمد. يضحك.

ثم صوت مي: "زمونة... لا ترمي العصيرا!"

زمن. طفلتها تضحك بصوت عالٍ.

كل شيء طبيعي... أكثر من اللازم.

نهضت، مشيت نحو الباب. فتحته.

رأيتهم جميعًا. أحمد على الكنبة. مي تحضّر الطعام. زمن تلعب على الأرض.

لكن شيء في وجوههم… مختلف. ابتساماتهم مشدودة. نظراتهم باردة قليلًا. كأنهم يتقمّصون أدوارًا يعرفونها جيدًا.

نظرت إلى أحمد. قال لي: "صحيت؟ نمت كتير، شكلك كنت بتحتاج هالراحة."

قلت: "أنا نمت؟"

قال: "إي، بس يومين مو أكتر."

يومين؟ شعرت بزمن أطول يمر في داخلي.

عدت إلى غرفتي.

أغلقت الباب.

نظرت إلى نفسي في المرآة. تمتمت: "رجعت… بس مين رجع؟"

الجزء الثاني: دفتر مفقود

بحثت عن دفتر الوجوه... لم أجده. فتّشت في كل الأدراج. على الطاولة، تحت الوسادة، في الخزانة. لا أثر له.

ثم تذكرت دفتر "لمن لا يتذكّر نفسه". بحثت عنه أيضًا. لا شيء. كأن الذاكرة هربت مني... أو أُخذت بعناية.

لكن على الطاولة، كان هناك دفتر جديد.

صغير، بلون رمادي باهت، بزاوية حمراء صغيرة في الزاوية اليمنى. فتحت الصفحة الأولى. كان العنوان بخط يد واضح:

"بداية أخرى – 31"

تجمدت. جلست ببطء.

تحت العنوان، سطر واحد:

"كل ما تراه الآن... تجربة. لكن مين بيجرّب مين؟"

قلبت الصفحة. فارغة. ثم الصفحة التالية. أيضًا فارغة.

عدت إلى الأولى. قرأت الجملة مرارًا.

من هو المجرّب؟ أنا؟ أم النسخة؟ أم شيء ثالث لا اسم له... فقط ظلّ يراقب من أول السطر؟

الجزء الثالث: لقطة الانعكاس

اقتربت من المرآة.

كانت نظيفة، صافية. لكنني لم أرَ نفسي فورًا. كأن الزجاج تأخر جزءًا من الثانية قبل أن يعكس صورتي.

حدّقت أكثر. رأيت وجهي... ثم رأيت شخصًا يقف خلفي. زياد.

التفت بسرعة. لا أحد.

عدت أنظر في المرآة. كان وجهي عاديًا، لكن شيئًا ما في عيوني... لم يكن لي.

ثم، رأيتني أبتسم. في المرآة.

لكنني لم أبتسم بعد.

وبعد لحظة، تبعت الابتسامة بلا وعي... كأن انعكاسي هو من يقودني، لا العكس.

ثم انكسرت المرآة. بلا صوت. بلا ارتطام. فقط، انقسم الزجاج فجأة.

ظهر سطر وحيد على السطح المشروخ:

"المرآة فتحت... الغرفة بانت."

وضعت يدي على الزجاج. لم أكن خائفًا. كنت... فضوليًا.

وسمعت داخلي صوتًا يهمس: "إذا الانعكاس هو البداية... فشو بتكون نهايتك؟ "

الجزء الرابع: الختام المفتوح

جلست على حافة السرير. الهاتف أمامي، خامد، كما تركته.

ثم اهتز. إشعار جديد.

"📩 مرسل: unknown.protocol31@obscura.net" "مرحبًا بك في المرحلة التالية. الغرفة ٣١ بانتظارك."

قرأت الرسالة مرارًا. ثم نظرت إلى المرآة المشروخة. ثم إلى الدفتر الرمادي. ثم إلى يدي... التي لا أعرف لمن تشير الآن.

نهضت ببطء. أخذت نفسًا عميقًا.

ثم كتبت على أول صفحة فارغة في الدفتر:

"لم أعد أنتظر الحقيقة... بل أعدّ نفسي لها."

أغلقت الدفتر. نظرت إلى الباب. لم أفتحه.

نظرت إلى الزاوية. كاميرا صغيرة... تومض. ابتسمت.

ثم... اختفى الضوء.

...النهاية؟

الخاتمة: في الظلّ، دائمًا ظلٌ آخر

لم تكن الحكاية عن الشك فقط. ولا عن فقدان الثقة، ولا حتى عن مرض نادر جعلني أشكّ بأمي، بأحمد، بسليم، وبنفسي.

كانت الحكاية عن ما هو أبعد من المرض. عن ما يحدث حين تُفتح مرآة لا تعكس الخارج، بل الداخل.

عن اللحظة التي يتشقق فيها الوعي، ويخرج منه ظلّ يسير بنفس ملامحك، لكن بأهداف أخرى.

بدأ كل شيء برسالة. ثم تكررت الرسائل. تكرّر الناس. تكرّر الزمان.

ظننت أنني أفقد السيطرة. لكن الحقيقة؟ لم أكن أملكها منذ البداية.

أصدقائي بعضهم كانوا معي... وبعضهم كان يراقبني. أحمد، مي، سليم... لم يكونوا مجرد أشخاص حولي، بل مرايا لما لم أكن مستعدًا لرؤيته.

رهف؟ ربما كانت تحاول الانتقام... أو كانت تبحث عن شيء يشبه العدالة، أو عن ظلّ شقيقتها ليان التي سقطت بين يديّ دون وداع.

زياد؟ لم يكن عدوّي. ربما لم يكن حتى شخصًا آخر. ربما كان... وجهي الذي رفضت أن أراه.

الغرفة؟ كانت تجربة. لكنّي كنت المجهر، والعينة، والانعكاس.

حين استيقظت، لم أكن متأكدًا إن كنت خرجت... أم فقط تغيّرت.

لم أعد أدوّن الوجوه. لأنني لم أعد أعرف أيّها حقيقي، وأيّها يتذكّر نفسه فقط لأنه اعتاد أن يفعل.

ما أعلمه الآن؟ أن ما رأيته... ليس سوى بداية.

وأن الغرفة ٣١... لا تنتظرني فقط. بل تنتظر من يشبهني. من فقدوا انعكاسهم ذات لحظة، ولم يعثروا عليه مجددًا.

ربما تكون أنت. أو أحدهم يقرأ هذه الكلمات الآن.

لكن حين تدخل الغرفة... تذكّر: المرآة لا تخطئ. هي فقط تريك ما لم تجرؤ أن تراه من قبل.

ملحق تعريفي

متلازمة كابيغراس(Capgras Syndrome)

❝ حين تنظر في وجه أحبّ الناس إليك... وتشعر أنهم ليسوا هم. ❞

- ما هي المتلازمة؟

متلازمة كابيغراس هي اضطراب نفسي نادر، يندرج ضمن "الأوهام أو الضلالات"، ويتميّز باعتقاد المريض أن أحدًا من أحبّائه (أمه، أخوه، زوجه، أو حتى نفسه) قد تم استبداله بشخص مزيّف، نسخة مقلّدة، أو متنكّر.

ليس ذلك نكرانًا للواقع... بل إدراكٌ مشوّه له.

المريض يرى الشخص كما هو تمامًا، لكن يشعر أنه ليس هو.

- كيف تظهر؟

يبدأ المريض بملاحظة "تفاصيل ناقصة" فيمن حوله

يشكّ أن الشخص "يتصرّف كأنه نسخة"

يُفسّر الأمر أحيانًا على أنه مؤامرة أو انتحال شخصية

في حالات شديدة، يشمل الشك النفس والذات

- هل المريض واعٍ لوهمه؟

نادراً ما يُدرك المريض أن أفكاره غير منطقية.

يكون مقتنعًا تمامًا أن الاستبدال حصل، رغم عدم وجود أي دليل.

- الأسباب الطبية المحتملة:

إصابات دماغية (خصوصًا الفص الجبهي أو الصدغي)

الخرف (ألزهايمر)

الفصام (الشيزوفرينيا)

أو كرب نفسي حادّ يؤدي إلى انكسار العلاقة بين الإدراك العاطفي والمعرفي.

- لماذا يُنسب المرض إلى "كابيغراس"؟

سُميت المتلازمة على اسم الطبيب النفسي الفرنسي جان ماري جوزيف كابيغراس، الذي وصف أول حالة عام 1923، كانت لامرأة تؤمن أن زوجها قد تم استبداله بعدة أشخاص متشابهين.

- هل يمكن علاجه؟

لا يوجد علاج قاطع حتى الآن.

يعتمد العلاج على الحالة الأصلية (فصام، خرف، صدمة...)

يشمل غالبًا:

العلاج الدوائي

جلسات نفسية – معرفية

دعم عائلي عاطفي غير صدامي

- لماذا اخترنا هذه المتلازمة في الرواية؟

لأنها تمثّل أحد أكثر الأشكال تطرفًا للشك، والانفصال بين ما نراه... وما نثق به.

الرواية ليست تشخيصًا، بل استكشاف إنساني ووجودي لما يشعر به من تتشقق ثقته بالوجوه — حتى وجهه.

في متلازمة كابيغراس، لا يفقد المريض ذاكرته... بل يفقد شعوره بالانتماء إلى من يعرفهم.

وهذا، في ذاته، شكل هادئ من الجحيم.

عن الكاتب

أحمد محمود دركل

طالب جامعي يدرس علم النفس والحقوق، ويمارس الكتابة كمن يحاول النجاة بالكلمات، لا مجرّد سرد الحكايات.

يؤمن أن الروايات ليست للترفيه، بل للغوص في أعماق النفس، حيث تنام الأ سئلة الحقيقية وتوقظنا الصدمات.

اهتمامه العميق بالروايات النفسية لا يأتي من دراسة فقط، بل من تجربة شخصية – فقد قرر أن يكون كاتبًا في عمر صغير، لا لأن الطريق كان سهلًا... بل لأنه عاش أيامًا صعبة، وأراد أن يمنح لها صوتًا.

رواية "كابيغراس" هي أول أعماله المنشورة، لكنها ليست أول ما كتبه.

فقد سبقتها رواية "بعد حين"، والتي لم ينشرها بعد، لأنها لا تزال مساحة خاصة يحتفظ بها مع نفسه.

هذه الرواية، كما يقول، ليست نهاية... بل بوابة.

بوابة لكثير من الروايات القادمة، التي ستظل تبحث في ذلك التماس الخطير بين الإنسان وذاته، بين الحقيقة... والاعتقاد بها.